الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومى

الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج . ع . م

العدد ١٠٨٢ - الخميس ٢ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ - ٨ أكتوبر ١٩٦٤ م - السنة الثانية والعشرون

مؤتمر عدم الانحياز

• للدكتور محمد احمد خلف الله •

اختار المنظمون **لمؤتمر عدم الانحياز** قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة القاهرة لتكون مقرا لجلسات المؤتمر وأعمال لجانه •

واختيار هذه المؤسسة العلمية الكبرى لتكون مقرا لأعمال المؤتمر يوحى فى ذهنى أننا قد بدأنا ننظر فى أمور الانسانية نظرة علمية موضوعية وانا قد اطرحنا جانبا المعالجة السطحية والاساس الحماسى •

وعدد الدول المشتركة فى هذا المؤتمر يوحى هو الآخر **بمسالتين هامتين :**

الأولى أن عدد هذه الدول قد زاد زيادة كبيرة ، فقد كانت الدول المشتركة فى مؤتمر يوغوسلافيا قليلة العدد بالنسبة لهذا المؤتمر ، اذ كان عددها ٢٨ دولة • أما دول هذا المؤتمر فثمان وخمسون دولة • منها احدى عشرة دولة تحضر المؤتمر بصفتها دولا مستمعة لاتناقش ولا تصوت •

هذه الزيادة تشعر من غير شك بأن الفكرة قد نمت واتسعت وزاد عدد المؤمنين والانصار ممن يدينون بها أو يدافعون عنها •

الثانية : أن من الدول من ينصر هذه الفكرة ولكنه يتريث فى الدعوة اليها والكفاح فى سبيلها لظروف خاصة • ومن هذه الدول بعض الدول التى كانت متحازة وكانت دائرة فى فلك بعض المعسكرات الكبرى سواء فى ذلك المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى •

والنتيجة الملازمة لكل هذا أن **دول عدم الانحياز** أصبحت قوة يحسب لها حسابها فى ميدان العلاقات الدولية ، وبخاصة فى ميدان هيئة الامم المتحدة •

هذه النتيجة تفرض علينا أن ندعو الى تحقيق وعى متكامل بحقيقة دعوة عدم الانحياز وبالاهداف التى تعمل على تحقيقها •

وأول المسائل التى تحتاج الى توضيح ليزداد الوعى بها هى عبارة **عدم الانحياز نفسها •**

ان بعض الناس قد يظن أنها انما تعنى موقفا سلبيا بين الكتلتين الكبيرتين ـ الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ـ **بحيث لا تعنى دول عدم الانحياز** بما يجرى بينهما والوقوف موقف المتفرج •

ذلك أن هذا الظن ليس الا الوهم ، فعدم الانحياز **موقف ايجابى يحقق اهدافا كبيرة لدول رات ان تقدمها ونموها ومحافظتها على استقلالها ، وتقدم العالم واحلال السلام والوئام محل الحرب والخصام لن يكون الا على أساس من هذه السياسة ، سياسة عدم الانحياز • ومن هنا وجب على هذه الدول أن تبذل الجهود الجبارة فى سبيل تحقيق هذه الاهداف •**

ولقد أكدت الجمهورية العربية المتحدة فى أكثر من موقف منذ أيام **باندونج ، وبريونى ، واكرا ، وكوناكرى** الى الآن هذه الحقيقة ، وأعلن **الرئيس جمال عبد الناصر** فى أكثر من موقف أن سياسة عدم الانحياز لم تكن مجرد موقف نخلد اليه بين الكتلتين الشرقية والغربية، وانما هى عقيدة أساسية تعتنقها السياسة المصرية •

انها مقاومة كل سياسة تعتمد على القوة والسيطرة، انها سياسة تهدف الى خلق عالم حر ، عالم مكون من بلاد مستقلة متساوية فى الحقوق والواجبات ، ومتعاونة بصدق فى سبيل ازالة خطر الحروب النووية ، وازالة أخطار التخلف الاقتصادى والقلق النفسى •

انها باختصار تحليل واع للعلاقات الدولية • • وللمشكلات الانسانية • وهذا هو الذى تدل عليه قرارات المؤتمر الاول •

فلقد كان من قراراته تأييد الاستقلال التام للبلاد والشعوب المستعمرة ، وتأييد حق الشعوب في تقرير مصيرها ، والعمل على انهاء الاحتلال ، وازالة القواعد العسكرية .

كما كان منها استنكار سياسة التفرقة العنصرية وتأييد اعادة جميع الحقوق للشعب العربى فى فلسطين .

وحثت هذه القرارات الدول الكبرى على أن توقع معاهدات نزع السلاح ، وتحريم التجارب النووية والعمل على ازالة عدم التكافؤ الاقتصادى فى ثرواتها ومصادرها الطبيعية .

ان عدم الانحياز انما نشأ تعبيرا عن ضمير الشعوب التى خرجت من كابوس التسلط الاستعمارى والتى تنشد لنفسها مكانا تحت الشمس يمكنها من أن تلعب دورا ايجابيا فى الحياة ويمنحها فرصة تحقيق السلام وتوطيده .

انها ترى أنها فى ظل السلام تستطيع أن تنمو ، وأن تعمل بلا كلل ولا ملل لتعويض ما فات ، وللانطلاق الى الامام بلا قيود ولا حدود .

ان المؤتمر الحالى يواجه مسئوليات ضخمة ، وان الامم تعقد عليه الآمال الكبار للعمل على ايجاد مخرج لهذه الأزمات الدولية ، وهذه المشكلات الانسانية ، وللعمل أيضا على تأكيد حق الشعوب فى حياة أفضل .

ان الامم تريد دعما للسلام ، وقضاء على العدوان واستنكارا للتفرقة العنصرية بجميع اشكالها والوانها .

ولعل أهم من كل ما تقدم أن يعمل المؤتمر على تحقيق ما يلى :

١ ـ الارتفاع بمستوى الانسان المتحرر من الاستعمار أو الذى لايزال يرسف فى أغلاله الى مستوى الحضارة .

٢ ـ الارتفاع بالرجل المتحضر الذى لايزال ضميره ملطخا بالاثم الى مستوى الانسانية .

٣ ـ ادخال الانسان من حيث هو انسان فى المسألة الرئيسية للسلام .

كلمات

● ان السلام لا يمكن أن يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا مخيفا .

ان السلام لايمكن ان يستقر على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الامم المتقدمة والامم التى فرض عليها التخلف .

ان الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثانى الذى يهدد السلام بعد الخطر الاول الذى يكمن فى نشوب حرب ذرية مفاجئة .

● ان التعاون الدولى من أجل الرخاء هو الأمل الوحيد فى تطور سلمى يقارب ما بين مستويات الامم ويزرع المحبة بينها بديلا عن سموم الكراهية .

ان التعاون الدولى من أجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الانسانى الذى يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين عن العصر الاستعمارى .

ان التعاون الدولى يمتد على جبهة عريضة .

انه يشمل فتح الأسرار العلمية للجميع ، فان احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية .

وهو كذلك يشمل الدعوة الى توجيه الذرة للسلام حتى تستطيع ان تخدم قضية التطوير ، وتضىء جوانب التخلف المظلم .

وهو كذلك يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التى توجه الى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من أن تترصد لها وتتربص بها .

وهو كذلك يشمل الدعوة الى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية بحيث لا تستخدم بواسطة الاقوياء لتحطيم محاولات غيرهم من أجل التقدم .

● ان اى سياسة خارجية لاى وطن من الاوطان لاتكون انعكاسا أمينا وصادقا لعمله الوطنى تصبح ادعاء يكشف نفسه بنفسه ويصبح نفاقا واتجارا بالشعارات .

ان هذه هى المهزلة التى تقع فيها الحكومات الرجعية حين تحاول للتضليل ان تستعير سياسة خارجية براقة لاتكون صدى للواقع الوطنى وتعبيرا عنه .

ان الشعوب الواعية تفضح هذه الحكومات وتقتص منها حساب الضلال الذى حاولت أن تزيفه عليها .

دكتور محمد أحمد خلف الله

الدعوة الى التجديد الدينى

بقلم محمد محمد المدنى

● **ان الشريعة الاسلامية هى مجموعة العقائد** والاحكام التى شرعها الله تعالى – على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذه الاحكام – كما قلنا – منها ماهو قطعى ثابت لايتغير بتغير الزمان والمكان ، وليس للاجتهاد فيه مجال ، ومنها ماهو ظنى يباح فيه النظر ، ويطبق عليه الاجتهاد .

وقد اتفقت الامة على أنه لا اجتهاد فى موضع النص الا فى فهم هذا النص مادام ثابتا غير منسوخ، واذن فلا يجوز اهمال نص محكم باجتهاد مجتهد على معنى ازالة العمل به أو تعليقه .

وهذا أمر مقرر مفروغ منه فى علم الاصول ، عقد له العلماء الابواب والفصول ، واستدلوا فيه بأدلة كثيرة :

منها قوله تعالى :

« انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ، واولئك هم المفلحون » .

« اتبعوا ماانزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء » .

« ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب اليم » – الى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

ورووا أن رجلا من ثقيف أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت يوم النحر الها أن تنفر به فقال : لا ، فقال له الثقفى : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتانى فى مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت به ، فقام اليه عمر رضى الله عنه بالدرة يضربه ويقول له : لم تستفتينى فى شىء قد أفتى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى الصحيحين من حديث ابن عباس أن هلال ابن امية قذف امرأته بشريك بن سحماء عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديث اللعان وقول النبى صلى الله عليه وسلم : ابصروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين ، خدلج الساقين ، فهو لشريك بن سحماء ، وان جاءت به كذا وكذا فهو لهلال ابن أمية ، فجاءت به على النعت المكروه ، – أى على صفة شريك بن سحماء الذى قذفت به – فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لولا مامضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن .

قال ابن القيم : يريد – والله ورسوله أعلم – بكتاب الله قوله تعالى : « ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين » ، ويريد بالشأن – والله أعلم – أنه كان يحدها حد الزنى لمشابهة ولدها للرجل الذى رميت به ، ولكن كتاب الله فصل الحكومة واسقط كل قول وراءه ، ولم يبق معه موقع للاجتهاد حتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الآيات والاحاديث والآثار فى ذلك كثيرة جدا ، ولذلك يقول الامام الشافعى : أجمع الناس على ان من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول أحد من الناس ، واذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ولم آخذ به ، فاعلموا أن عقلى قد ذهب » !

أقول : فاذا كان مثل الشافعى رضى الله عنه يقول ذلك عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم احتراما لنصوصها ، وتوكيدا لوجوب العمل بها ، فهل تراه يبيح ترك آية من آيات الاحكام باجتهاد يجتهده ؟! .

نعم اذا كان فى النص مايدل على أن الحكم المستفاد منه معلل ولم توجد علته ، أو استفيد ذلك من دليل آخر ، فان الحكم يتغير ، ولكن هذا التغيير انما هو فى نطاق النص نفسه ، والنص هو الذى دعا اليه ، وليس المجتهد ، ولا الامة ، ولا الجمعية

التشريعية ، ولا غير هؤلاء بالذى يصدق عليه فى هذا الشأن انه بدل حكما بحكم ، او علق نصا وحال بينه وبين أن يؤخذ بمدلوله .

● نعرض بعد ذلك : لما يذكر من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنـــه ، منع « المؤلفة قلوبهم » السهم الذى نص الكتاب انه لهم :

وذلك أن الله تعالى فرض فى محكم كتابه للمؤلفة قلوبهم سهما فى الزكاة ، فقال جل شأنه : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم هـــذا السهم ، وهم أصـــناف : فمنهم اشراف من العرب كان رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يتألفهم ليسلموا ، ومنهم قوم أسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم بالعطاء ، مثـل عيينـة بن حصن ، والاقرع بن حابس ، وعباس ابن مرداس ، ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم من رجالات العرب . « وذلك على نحو ماتفعله الدول اليوم فى تخصيص بعض النفقات من ميزانيتها للدعاية السياسية » .

هذه سيرته ، صلى الله عليه وسلم ، مع المؤلفة قلوبهم منذ نزلت عليه الآية الكريمة الى أن لحق بالرفيق الاعلى .

ولكن لما ولى ابو بكر رضى الله عنه جاء اليه المؤلفة قلوبهم لاستيفاء سـهمهم على ماجرت به عادتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب أبو بكر لهم كتابا بذلك ، فذهبوا بكتابه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلم ير اقراره وقال : لا حاجة لنا بـكم ، فقد أعز الله الاسلام وأغنى عنكم ، فان أسلمتم والا فالسيف بيننا وبينكم . فرجعوا الى أبى بكر فأمضى مافعله عمر .

فاستقر الامر لدى الخليفتين ومن يرى رأيهما على منع المؤلفة قلوبهم هذا السهم ، وصرفه الى من عداهم من الاصناف المذكورين فى الآية .

فظاهر الامر أن عمر جاء الى نص يحـكم باعطاء المؤلفة قلوبهم سهما من الزكاة فمنعهم ، فصـادم بذلك نصا ثابتا طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهده ، ولم يعلم أنه نسخ بنص غيره ، واذن فقد جاء عمر — ووافقه أبو بكر وغيره — الى نص معمول به فلم يأخذ به لاجتهاد اجتهده ، فان لم يكن هذا نسخا للحكم بفعل المجتهد بعد وفاة الرسول ، فهو تعليق للنص ، ولا مناص من التسليم بأحدهما .

هذا هو الظاهر الذى يتمسك به من يرون جواز تعليق النصوص ، ومنهم السيد الدكتور محمد أحمد خلف الله .

ولكن حقيقة الامر فى ذلك أن عمر رضى الله عنه ، والصحابة الذين وافقوه ، ومن جاء بعدهم من العلماء ، لم يخرجوا عن دائرة النص ، ولم يعلقوه ، وانما فهموا أن الله سبحانه وتعالى لما قال : « والمؤلفة قلوبهم » ، أثبت لفريق من الناس نصيبا من الزكاة بوصف معين هو مناط الاستحقاق ووجوب الاعطاء ، ذلك هو كونهم « **مؤلفة قلوبهم** » . ولما كان التأليف ليس وضـــعا طبيعيا يحدث للنـاس كما تحـدث الآعراض الطبيعية ، بل هو شيء يقصد اليه ولى الأمر ان وجد الأمة فى حاجة اليه ، ويتركه ان وجدها غير محتاجة اليه ، فاذا اقتضت المصلحة أن يؤلف أناسا والفهم فعلا ، أصبح الصنف موجودا فيستحق ، واذا لم تقض المصلحة بذلك فلم يتألف أحدا ، فان الصنف حينئذ يكون معدوما ، فلا يقال انه « منعه » لأنه ليس معنا أحد يجرى عليه الضمير البارز فى لفظ « منعه » ، وبذلك يتبين أن النص لم يعطل ولم يعلق ، وانما المحل هو الذى انعدم ، فلو أن ظرفا من الظروف على عهد عمر أو غيره من بعده قضى بأن يتألف ولى الأمر قوما فتالفهم ، لأصبح الصنف موجودا فلابد من اعطائه .

وقد يرد على هـــذا أن المؤلفة قلوبهم كانوا موجودين فعلا على عهد عمر ، وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تألفهم ، فعمر منعهم مع وجودهم ، فلا يقال اذن ان عدم الاعطاء لعدم وجود الصنف ، وانما هو لمعنى مصلحى قدره عمر ، وهو أن الاسلام قد أعزه الله ولم يعد هناك سبب للتأليف ، وهذا يتفق وما يقرره بعض العلماء من أن اعطاء المؤلفة قلوبهم حـكم معلل بحاجة الاسـلام الى التأليف فاذا انتفت علته انتفى ، لأن الحكم المعلل يدور مع علته وجودا وعدما .

قد يرد علينا هذا ، وربما كانت عبارة عمر المروية فى هذا الشأن ، وهى قوله « ان الله قد أعز الاسلام وأغنى عنكم » مؤيدة لهذا الايراد .

ونقول فى الرد على ذلك : ان هذا التخريج نفســه بعيد عما يقول به من يجيز تعليق النص ، وذلك أنه متى ثبت أن الحكم معلل ، فهو بمثابة أن يقول المشرع : جعلت للمؤلفة قلوبهم ســـهما من

الزكاة في حالة احتياج الاســـلام اليهم ، أما اذا استغنى الاسلام عنهم ، فلا يعطون ، فالاعطاء في الحالة الأولى بالنص ، وعدمه في الحالة الثانية بالنص ، فلا تعليق ، ولانسخ ، ولا تعديل .

ولست مع هذا براض عن هذا التخريج ، وانما الأمر عندى أمر وجود المؤلفة قلوبهم أو عدم وجودهم ، كوجود الرقاب أو عدم وجودها مما يترتب عليه وجود المصرف الخامس ، وهو قوله تعالى « وفى الرقاب »أوعدم وجوده ، وانما أتمسك بذلك لأنه ليس معنا دليل على أن الحكم فى قوله تعالى « والمؤلفة قلوبهم » معلل بحاجة الاسلام اليهم ، انما المعلل بذلك هو التأليف نفسه ، اى جلب قلوب بعض الناس ، اى ان مبدأ « **التأليف** » والسياسة التى تقتضيه شيء ، واعطاء المؤلفة قلوبهم حين يتقرر هذا المبدأ شيء آخر ، فالقواعد الشرعية تبيح لولى الأمر أن يأخذ بمبدأ التأليف اذا رأى مصلحة للأمة فيه ، بل توجيه عليه فى بعض الحالات :

والخلاصة ان التأليف قد يكون مباحا لولى الأمر اذا رأى فيه مصلحة للامة ، وقد يكون واجبا اذا كان تفويته يؤدى الى ضرر يصيبها ، أو تعين وسيلة لجلب مصلحة يعتد بها .

تفيد القواعد الشرعية ذلك ، وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنفهم من هذا أن حاجة الأمة هى العلة التى تبعث الامام على التأليف ، وحينئذ يؤلف ، فيوجد الصنف ، فيعطى .

وقول عمر للمؤلفة الذين كانوا يأخذون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله قد أعز الاسلام وأغنى عنكم » معناه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألف قلوبكم لمصلحة الاسلام ، فصار لكم هذا الوصف ، وصف المؤلفة قلوبهم ، فأعطاكم ، لكن هذا الوصف لم يستمر لكم الى الآن ، لأن الاسلام قد عز واستغنى فزالت الحاجة الى التأليف فلم يبق بيننا «مؤلفة قلوبهم» بمعنى أنهم موصوفون بهذا الوصف الآن ، وان كانوا « مؤلفة قلوبهم » باعتبار ما مضى ، وهذا الوصف مما يتغير ويتبدل كوصف الفقر ، فقد يكون المرء فيما مضى فقيرا ، فيكون له فى الزكاة نصيب ، ثم يصبح غنيا فلا يكون له فيها نصيب ، ولا ينبغى أن يتوهم أن هؤلاء الناس استحقوا هذا الوصف الى آخر عمرهم ، أو أن الامام يجب أن يعدهم كذلك الى آخر عمرهم ، وانما الأمر أمر تقدير المصلحة فى نظره ، فان أداه اجتهاده الى أن يتألف تألف فأعطى ، والا فلا .

واذن فليس معنا نص وقف العمل به أو علق أو نسخ أو عدل ، ولكن معنا نص معمول به ، لأن معناه مقيد من أول الأمر بالقيد الطبيعى الذى لا يعقل انفكاكه عنه ، كأنه قيل : والمؤلفة قلوبهم ان وجدوا ، كما يقال مثل هذا فى الفقراء والمساكين مثلا : انما الصدقات للفقراء ، ان وجد فقراء ، والمساكين ، ان وجد مساكين ، وفى الرقاب ، ان وجدت رقاب مملوكة .

فاذا كان هناك من يريد أن يجادل عمر رضى الله عنه فى أن التأليف ، أى ايجاد صنف المؤلفة قلوبهم واجب على الامام فى كل حال ، فهذا جدال فى موضع من مواضع الاجتهاد ، وليس اجتهادا فى محل النص ، والفرق بين التأليف ، ووجوب اعطاء المؤلفة قلوبهم حين يكون هناك تأليف ، واضح ، فالأول أمر مصلحى يختلف فيه النظر ، والثانى حكم نصى لا يمكن التصرف فيه بالابطال أو التعليق أو التعديل .

وشبيه بهذا أن نقول : ان الأمر بتخصيص جزء من الزكاة لفك الرقاب ومنح العبيد والاماء العتق والحرية ، شيء يختلف عن مبدأ ايجاد ارقاء والمحافظة على استمرار النوع ، فلا يجب على ولى الأمر أن يحتفظ بصنف « الأرقاء » حتى يمكن أن تظل مصارف الزكاة ثمانية من بينها المصرف الخامس ، وهو قوله تعالى « وفى الرقاب » ، ولكن ان وجدت رقاب فى ظرف من الظروف ، كانت من المصارف الثمانية والا فلا .

● ويتبين مما ذكرنا أن المثال الذى مثل به السيد الدكتور **محمد أحمد خلف الله** فى معرض التساؤل عما يمكن عمله بازاء « آيات الاحكام والتكاليف التى تأثرت فعلا بفعل الزمن ، أو التى يمكن أن تتأثر بذلك » ليس فيه ما يدل على أن عمر بن الخطاب وقف نصا قرآنيا وحال بينه وبين مدلوله ، ولكنه اجتهد فى ناحية أخرى ليست من محل النص ، وهى : هل مصلحة الاسلام يومئذ تقضى باعتناق مبدأ التأليف واتخاذه سياسة عامة لنشر مبادئه وتعاليمه وعقائده ، أو هو مستغن عن ذلك لأنه صار قويا عزيزا ؟ .

وهناك مسائل أخرى تذكر فى الاستشهاد بمواقف لعمر من بعض نصوص الكتاب والسنة ، ولعلنا نتحدث عنها أو عن بعضها ، لتجلية نظريتنا فيها وفى أمثالها مما قد يظن تعطيلا للنصوص ، أو افتياتا عليها والى اللقاء فى مقال تال ان شاء الله .

« **محمد محمد المدنى** »

مع النيل
معبد ابو سمبل

للدكتورة نغمات أحمد فؤاد

(٦)

والاسم القديم للمنطقة **(ابشيك)** . غير ان هناك قرية فى الشرق اسمها ابو سمبل وقد شاع تسمية المعبد باسمها .

وقد سبر المهندس المصرى القديم الجبل وفتح قلبه ليتربع فيه معبد مليكه بين ثلاث طبقات صخرية: السفلى صلبة لتكون بمثابة الأساس للمعبد والعليا مثلها صلبة لتحتمل الجبل فوقه، أما الوسطى فرملية لينة .. يسهل تشكيلها .. الى هذا المدى بلغ علمهم بطبقات الأرض (الجيولوجيا) وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم .

كما نحت المعبد بحيث تشرق عليه الشمس أول ما تشرق فى ميقات معلوم من شهر اكتوبر وشهر فبراير يقدر أن الموعدين يمثل أحدهما مولد رمسيس أى **(عيد ميلاده)** ويمثل الآخر عيده الثلاثينى أى بلوغ حكمه الثلاثين عاما وكان ملوك مصر من يبلغ منهم هذا الأمد فى الحكم يحتفل به احتفالا كبيرا واعدا .

وقد ظلت الشمس على موعد مع المعبد آلاف السنين لا تتقدم ولا تتأخر ولا تتحول ولا تريم.. الى هذا المدى بلغ علمهم فى الفلك وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم .

نحن الآن أمام المعبد الكبير الذى بلغ ارتفاع واجهته ٣٣ مترا وعرضها ٣٨ مترا ، معبد رمسيس حيث تطل علينا من عليائها تماثيله الأربعة التى يبلغ طول التمثال منها عشرين مترا . ويعلو المدخل تمثال للآله حور آختى اله المعبد متوسطا التماثيل الأربعة يعلو هذا صفان من النصوص الهيروغليفية هى اسماء والقاب رمسيس الثانى وفوق هذا صف من القردة رافعة أيديها الامامية محيية اله الشمس عند الشروق .

وبين يدى الملك تماثيل لزوجته نفرتارى وامه وبناته وأبنائه .. والى اليمين واليسار اله النيل (حابى) .

فاذا دلفنا الى المعبد وطالعنا الجدار الشرقى على يمين راينا .. (رمسيس) لابسا التاج المزدوج وفى يده دبوس القتال وقد تجمع اعداؤه تحت قدميه يسترحمون باكف ضارعه . وامام رمسيس الاله حور آختى .

وفى منتصف الحائط صف من بنات رمسيس وعددهن تسع تحمل كل منهن الصلاصل (السسترم) ثم رمسيس فى حضرة الاله أتوم (اله ظهر فى رأى قدماء المصريين على تل فى محيط وخلق من نفسه الهين السماء والارض فتزوجا وخلفا اثنين تزوجا وانجبا أوزوريس – ايزيس – ست – نفتيس) .

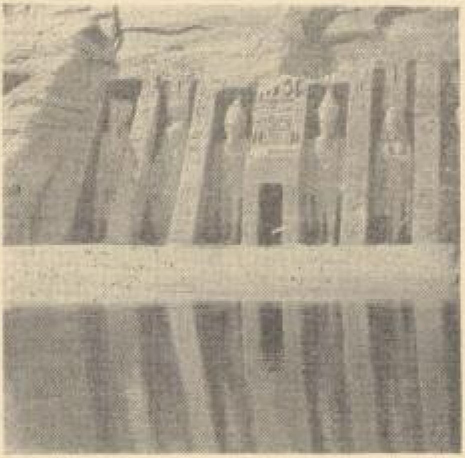
ثم رمسيس فى حضرة الاله خنسو اله القمر ثم رمسيس فى حضرة الاله (مين) اله التناسل ثم رمسيس فى حضرة الاله حورا آختى والالهة سخمت .

وعلى يسار الداخل رمسيس فى حضرة الاله آمون

رع ، وبينهما الاسرى الشماليون والجنوبيون ٠٠ وفى وسط الجدار صف من الامراء وعددهم ثمانيـــة ثم رمسيس فى حضرة الاله حور آختى ثم رمسيس فى حضرة الاله بتاح ثم رمسيس فى حضرة الاله آمون رع ، ثم رمسيس فى حضرة الاله آمون رع والالهة موت ٠

صالة الأعمدة :

وفى صالة الاعمدة ثمانية تماثيل لرمسيس من الطراز الأوزيرى فهى فيما يلى الجانب المطل على الممر على هيئة أوزوريس وهذه الاعمدة مربعة قدت من الصخر وعليها رمسيس فى حضرة الالهة المختلفة وخاصة الاله امون رع والاله حور آختى ٠ وسقف الصالة مزين تارة بالصقر المجنح وتارة بالنجوم ٠



وعلى جدران صالة الاعمدة نجد مناظر حربيـــة تمثل رمسيس فى حروبه مع اعدائه فى الشمال والجنوب ٠ ولعل أروع نقوش المعبد العظيم معركة قادش ورمسيس البطل يجندل أعداء مصر فينهارون ما بين صريع ، وجاث على قدميه يستغفر ، وضارع الى الالهة المصرية ان تتشفع له عند الملك الجليل ٠ ان المصرى ليدخله الغرور لامحالة والزهو والفرحة وهو يرى رمسيس ، نسيت ان أقول والحب ، قدشمر للمعركة وكل ما فيه قد استحال ٠٠ شهابا منقضا حتى لجام جواده قد شده الى وسطه لتتفرغ يداه للطعن والنزال ٠٠ وقد صوره الفنان المصرى يطأ بقدميه رقبة عدو ويطعن بيده آخر ويمسك باليـد الاخرى تلابيب ثالث ، كان المعركة لا تزال قائمة فقلبى يخفق من أجله وعينى تزغرد له ، ولهفتى لهفى على خطاه ٠٠ لقد لهثت انا على بعـــد المعركة وبعد السنين وهو ماض كابطال الاساطير لايتوقف ولا يناله اعياء ٠

ان الجدار الشمالى من صالة الاعمدة صـــفحة عريضة من تاريخ مصر تصوركيف زحف جيش مصر الى مدينة قادش بعرباته الحربية فيقهقر عنها جيش الحيثيين ويعود رمسيس بعد معركة فاصلة ظافرا معتليا عربته يمشى فى ركابه مع من مشى ، الاسد! اسده الاليف ويعود الى مصره مظفرا ليقول اليس لى ملك مصر والحيثيين !

ان الفنان المصرى العظيم يمثل رمسيس العظيم فى الاعمال الجاهدة ولا أثر للجهد عليه كانه يأتى شيئا عاديا بل شيئا سهلا ٠ فلا عضـــلات نافرة كالتى تبدو فى التماثيل اليونانية والرومانية ٠

وفى الجدار الشمالى من صالة الاعمدة نجـــد حجرتين استعملتا مخازن ، وفى الجدار الغربى من هذه الصـــالة نجد بالجدار ثلاثة مداخل : المدخل الأيمن يفضى الى حجرة مستطيلة بالجدار الشمالى منها نجد حجرتين طويلتين كانتـــا مخزنين ٠ وعلى هذا النسق نجد المدخل الأيسر ٠

اما المدخل الاوسط فيفضى الى صالة مربعـــة بها أربعة أعمدة مربعة على الجدار الايمن والايسر نجد الملك رمسيس واقفا ومرتديا الزى الملكى يحرق البخور وتقف خلفـــه الملـــكة نفرتارى وفى يدها الصلاصل وأمامهما الكهنة حالقى الرؤوس حاملين القارب المقدس ٠

ومناظر هذه الصالة كلها مناظر دينية تمثـــل (رمسيس) تارة مع الثالوث المقدس لطيبة آمـــون وموت وخنسو ٠

ثم رمسيس فى حضرة الاله (مين) اله التناسل٠

وعلى الاعمدة رمسيس فى حضرة الاله آمون الذى يحتضنه ٠ كما نجد الالهة موت والالهة حتحور ٠

وبالجدار الغربى من هذه الصالة مدخل يفضى الى قدس الأقداس الذى يتصـــدره الآلهة الأربعـــة : رع حور آختى ثم الملك رمسيس ، واضعا نفســه موضع الآلهة ، ثم الاله آمون رع ثم الاله بتـــاح اله

الصناع والفنانين وبين هذا الحرم وبين المدخل نحو ستين مترا تقطعها الشمس في ايام معلومة من شهري اكتوبر وفبراير من كل عام لتمثل بين يدي آلهة مصر الاربعة وتضيء الجباه الشماء التي أضاءت الدنيا وملأتها نورا ومجدا وعلما وفنا وقيما غالية يشرف بها الانسان في مصر ٠٠ في كل مكان يقدس الحضارة ويجل التاريخ ٠

هذا هو معبد ابو سمبل اجمل معابد مصر واعظم بناء أودعه انسان ضمير الصخر ليعد كما قال المدير العام لليونسكو في ندائه الدولي ، (من أروع المنشآت المعمارية في العالم) وقال الاستاذ جازولا (انهما ، معبدا أبو سمبل ،) لا يخصان فقط الذين شيدوهما بل يخصان التراث الثقافي للانسانية جمعاء) ٠

اما المعبد الثاني فقد بناه رمسيس لزوجته الاثيرة نفرتاري والهة المعبد الالهة حتحور ٠ والمعبد شكل في الصخر ، وفي واجهته على جانبي المدخل ستة تماثيل منها اربعة لرمسيس الثاني على وجهه ابتسامة مزهوة وفي عينيه ثقة وفرحة ، وفي وقفته اعتداد وعزة ، أستطيع ان اجزم ان فرعون موسى ليس وحده الذي قال : (اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) كلهم قالوها ٠ بل قلتها أنا في السر والعلن آلاف المرات وقلت : ما أسعدنا بمصر وطنا يجري فيه هذا النهر العظيم ٠

على يسار المدخل تمثال للملكة نفرتاري ٠٠ نفرتاري الجميلة ترفع في يدها آلة موسيقية تعلوها رأس الالهة حتحور وعلى يمين نفرتاري تمثال لرمسيس على رأسه التاج المزدوج وعلى يسارها رمسيس على رأسه التاج الملكي ويفصل التماثيل خراطيش ٠

يقف الى جانبي الملك الامراء والأميرات الاعزاء عنده وأقربهم الى نفسه يسمى امن حرخبشي اف اى سيف الاله آمون ٠

وعلى يمين المدخل ثلاثة تماثيل تتوسطها نفرتاري والى جانبيها رمسيس لابسا تاج الوجه القبلي ٠

صالة الأعمدة : وبها ستة أعمدة مربعة على الجانبين والاعمدة مربعة ٠٠٠ الجانب المطل منها على الصالة ينتهي عند القمة برءوس حتحورية أرى على جانب العمود الملكة نفرتاري انها جميلة حقا ممشوقة هيفاء عذبة القسمات خليقة حقا بحب الملك العظيم ٠٠ ان عيني لا تريد أن تتحول عن الصورة ، وغير ملوم فيها الملك الجبار ٠

على الجدار الأيمن رمسيس الثاني لابسا تاج الوجه البحري ممسكا بيده دبوس القتال يضرب به عدواء وعلى يمينه صورة للاله رع حور آختي ووراءه وقفت نفرتاري الجميلة ٠ كيف صور المصري الفنان نفرتاري في شفوفها فلم يحجب الحجر الشفوف ولاماوراءها كيف طوع المصري الحجر فسلس بل انصاع فحمله من الايحاءات واللفتات والبسمات والنظرات والحركات ما أراد له أن يروع به ٠

وعلى الجدار الشمالي رمسيس يحمل زهورا ويصب ماء امام الاله خنوم ذي رأس الكبش يليه الملكة نفرتاري تحمل في يديها آلتين موسيقتين تقدمهما للاله حتحور ٠

ووراء رمسيس الاله بتاح اله منف ، اله الصناع والعمال والفنانين ٠٠ وفي أقصى اليمين رمسيس امامه عدد من القرابين ٠

وعلى جوانب الاعمدة المواجهة للجدار الشمالي الاله خنسو اله القمر ثم الالهة موت الهة الحرب زوجة الاله آمون رع ملك الآلهة ثم تمثال رمسيس وعلى الجانب الآخر من العمود تمثال الاله حورس منطقة (ميعام) اى عنيبة ٠

وعلى جانب عمود الالهة موت الملك رمسيس يقدم القربان بخورا وعلى جانب حورس كوبان (وهى قرية شرق الدكة) ٠

وعلى عمود الاله خنسو ، الاله خنوم له رأس كبش ٠ ومن الناحية الأخرى الالهة ايزيس على هيئة الالهة حتحور ويفرق الأثريون بينها في هذا المعبد بالكتابة ٠

وعلى يسار المدخل الاله آمون رع ثم رمسيس يؤدب أحد الخارجين عليه من الجنود ثم الملكة نفرتاري ٠

اما الجدار الجنوبي فيمثل (رمسيس) في حضرة الالهة حتحور التي تحمل في الصورة آلة موسيقية حين حمل هو رمز العيد الثلاثيني لحكمه ٠

ويلي هذا رمسيس بين الاله ست والاله حورس منطقة ايام ٠

ويلي هذا الالهة عنقت زوجة الاله خنوم تقدم لها نفرتارى زهور اللوتس بيد واليد الأخرى بهـا الصلاصل الموسيقية ٠

يلي هذا رمسيس بالزى الرسمى يقدم رمزالعدالة الالهة ماعة الى الاله امون رع ملك الآلهة ٠

الاعمدة على يسار المدخل :

العمود الأول على واجهته نفرتارى وعلى الواجهة الثالثة الاله حورس اله منطقة بوهن التى تقع فى حلفا عند الشلال الثانى ٠

العمود الثانى : على واجهتـه الاله تحوت اله الحـكمة والمعرفة ٠٠ وعلى الواجهة الاخرى الالهة ماعة الهة الحق والعدالة وعلى الواجهة الثالثة الالهه ساتت زوجة الاله خنوم ٠

العمود الثالث : على واجهته الملكة نفرتارى وعلى الواجهة الاخرى الالهة حتحور ٠ وعلى الواجهة الثالثة الالهة (ورت كاووت) ٠

الجدار الغربى :



الجدار الغربى من صالة الاعمدة به ثلاثة مداخل تفضى الى صالة مستطيلة أصغر من صالة الاعمدة ٠

والمداخل الثلاثة على يمينها ويسارها نجد الملكة نفرتارى فى حضرة الالهة حتحور ٠

أما المدخل الأوسط فعلى يمينه رمسيس بتـاح الوجه البحرى وعلى يساره رمسيس بتـاح الوجه القبلى ٠

ثم نفرتارى فى حضرة الالهة موت ونفرتارى تقدم اللوتس والبردى قربانا ٠

الصالة المستطيلة :

تلى صالة الاعمدة وأجمل منظر بها نجده على جدارها الشرقى وهو منظر ٠٠ التتويج وفيه تبدو نفرتارى بين الالهة ايزيس والالهـة حتحور وهن ممسكان بعلامة الحياة (عنخ) ٠

وعلى الجدار الشرقى من الصالة المستطيلة منظر آخر يتمثل فيـه رمسيس ووراءه نفرتارى تحمل زهرة اللوتس والصلاصل وأمامه الالهة (تا ـ ور)
أما الجدار الغربى ففى اعلاه ثالوث اسوان الآلهة خنوم وعنقت وساتت ٠٠ وامامهم الملكة نفرتارى الرقيقة تقدم زهور اللوتس وتقدم معهـا مائدة حافلة باللحوم والخبز والطيور قربانا ٠

يلى هذا رمسيس بالتاج المزدوج فى حضرة الاله حور آختى ٠ والى اليسار رمسيس فى حضرة الاله آمون رع والملك يقدم له اناءين قربانا ٠ كما يقدم رمسيس فى الطرف الاعلى من يسار ، اللوتس قربانا الى ثالوث اسوان ٠

أما الجدار الجنوبى من الصالة المستطيلة فاظهر ما فيه البقرة الحيوان المقدس للالهة حتحور وامامها نفرتارى تقدم اليها الزهور قربانا ٠

فاذا ما خلفنا الصالة المستطيلة وجـدنا قدس الاقداس وفى صدره تمثال للالهة حتحور رمزالحنان والامومة ٠ ومن الطريف اننا اذا ما واجهنا الجدار الشمالى من قدس الاقداس نجـد رمسيس الملك يقدم القربان الى رمسيس الاله ووراءه نفرتارى ٠٠ أى انه يقدم الى نفسه القرابين ٠

وعلى الجانبين من باب قدس الاقداس نجد الاله حابى اله النيل وقد صوره الفنـان ممتلىء الجسم امارة نعمة ورغد ووضع على رأسه اللوتس والبردى نباتيه التقليديين ٠

أما الجدار الجنوبى فيشرق بالملكة نفرتارى وهى تقدم البخور للآلهة موت والآلهة حتحور ٠

دكتورة
نعمات احمد فؤاد

العقاد والرمزية

بقلم دكتورة كوثر عبد السلام البحيرى

كان لى حظ اللقاء بالراحل الكريم الاستاذ عباس محمود العقاد قبل وفاته بثلاثين يوما وذلك بمنزله بمصر الجديدة . ولقد امتدت بنا الجلسة الى ثلاث ساعات كانت من اجمل اوقات المتعة الروحية والذهنية .

وقد دار الحديث بيننا عن الرمزية فى الادب الفرنسى وما أحدثه من أثر على الادب العربى . ورغم أن العقاد لم يكن يعرف الفرنسية الا انه اتضح لى من خلال حديثه انه راسخ المعرفة بآدابها عن طريق التراجم التى كان يقرؤها على الدوام .

وقد بدأ العقاد حديثه منطقيا على الرمزية المعنى الذى يعطيه لها الكثيرون أى استخدام المعانى المجازية والتشبيهات والاستعارات بدلا من المعانى الحقيقية . وطبيعى انه لو اعطينا للرمزية هذا المعنى فان الادب العربى يكون من أغنى اللغات بهذا النوع من الادب لاسيما فى علوم البلاغة العربية وعلم المعانى . واللغة العربية كما قال تسبغ استعمال المعنى المجازى والحقيقى فى وقت واحد ، فاذا قلنا - والمثال هنا للمرحوم الاستاذ العقاد - رأيت أسدا فى الحمام ؛ ذهب ذهن القارى العربى فورا الى أن الامر يتعلق برجل فى شجاعة الاسد ، أما اذا استعمل هذا التعبير بالفرنسية لظن القارىء أن الامر يتعلق بأسد حقيقى ولذا فان الامر يبدو له غريبا وغير مقبول . ولما كانت اللغة العربية تستعمل المعنى المجازى بنفس سهولة استعمال المعنى الحقيقى فلم يشعر أدبها فى وقت من الاوقات بالحاجة الى ما اسماه الفرنسيون بالمدرسة الرمزية .

ثم انتقل فقيد الادب الى الرمزية كما تصورها لغة الاحلام . اذ اتجه بعض الشعراء الرمزيين فى قرننا الى تصوير النفس البشرية باستعمال الرموز كما تصورها الاحلام فقال : ان الادب العربى لم ير ضرورة لهذا النوع من الادب لانه اكتشف لغة الاحلام ورموزها منذ ازمان طويلة ، كما ان كتاب تفسير الاحلام يكاد يكون موجودا فى كل بيت عربى أما فى أوربا فان الاحلام لم تستخدم فى كشف خبايا النفس البشرية الا مع فرويد وظهور علم التحليل النفسى فى القرن الماضى ، وعلى ذلك فان الادب العربى أرسخ قدما من الآداب الغربية جميعا فى هذا المجال ومن ثم فلم تجد العربية ضرورة لاكتشاف الرموز فى عالم النفس ولا ان يكون لها مدرسة خاصة تتولى هذه المهمة .

وقلت لفقيد الادب : تلك هى الرمزية بمعناها العام . ولكنا لم نتحدث عن الرمزية بالمعنى الذى اعطته لها المدرسة الفرنسية التى يتولى زعامتها الشاعر ستيفان مالارميه والتى بدأت بالفكرة التى عبر عنها الشاعر بودلير فى قصيدته «العلاقات» والتى قال فيها ان الطبيعة معبد ذو اعمدة حية تنبعث منها كلمات مضطربات فيمر الانسان من

غابات من الرموز تحدق فيه بنظرات مألوفة الى نفسه . وكما تختلط الاصداء الطويلة بعيدا فى وحدة مظلمة عميقة واسعة كالليل والضياء ، فكذلك تتجاوب العطور والالوان والاصوات أما أرتير رمبو ذلك الشاب الذى لم تتعد سنوات اشتغاله بالادب اصابع اليد الواحدة فقد اعتمد على فكرة الصورة التى يخلقها الجوامد والاشياء فى النفس البشرية فلكل شيء بخلاف معناه الظاهر الملموس صورة يوحى بها شكله وصوته ورائحته فى النفس وغالبا ماتطغى هذه الصورة غير الحقيقية على الصورة الملموسة كما ابتكر نظرية السمع الملون وادعى ان كل حرف من حروف الهجاء يوحى الى النفس بلون معين .

اما ستيفان مالارميه مشرع الرمزية ومحققها فقد ذهب الى فكرة لاتقل ابتكارا وطرافة عن فكرة رمبو وهى ان الرمز فكرة مجردة مطلقة يوحى بها وقع الالفاظ والحروف فى النفس بعد أن نجردها تماما من معناها الحقيقى . وذكرت أستاذنا الكبير بالنماذج الشعرية الاربعة المعروفة التى كتبها ستيفان مالارمين للتدليل على نظريته التى حاول فيها تجريد الالفاظ من معانيها المعروفة والاعتماد على المعانى التى يوحى بها وقع أصواتها ومخارج حروفها فى النفس وجعل الحروف أشبه شيء بأصابع البيانو او اوتار الآلة الموسيقية كل يؤدى دوره فى السيمفونية العامة وهى القصيدة الشعرية ، اى انه قد حاول توزيع الحروف توزيعا أوركستراليا وابتكر فى قصيدته الأخيرة « رمية نرد » طريقة جديدة فى كتابة القصيدة شبيهة بكتابة النوتة الموسيقية .

ولذا فان قصائده تكاد تكون خلوا من المعانى المعترف بها للالفاظ .

وقد حاول كثير من النقاد تفسير قصائده ولم يتفق اثنان منهم على تفسير واحد ، بل ان ملارميه نفسه قد قبل من نقاده عدة تفسيرات مختلفة للقصيدة الواحدة .

وقد قال الاستاذ العقاد رحمه الله ان الادب القوى لم يعرف شيئا من هذا كله وان كانت ثمة محاولات قد بذلت لادخال تلك الافكار التى يراها غريبة وغير مقبولة فى الادب العربى . وقد بذل بعض شعراء لبنان عدة محاولات باءت بالفشل فى هذا السبيل . واهم من حاولوا السير فى هذا الطريق الشائك فى نظره هو الشاعر والاديب المرحوم بشر فارس لاسيما فى قصيدته التى تسمى «ملتقى السبيل» . ويضحك الاديب الكبير ويقول ان بعض الشعراء العرب الذين ارادوا أن يسموا بالرمزيين قد صور كلبا يمص عودا من القصب . ويتحمس النقاد فى استهجانه لهذه الآراء الفرنسية فيقول انها لم تنجح فى فرنسا نفسها بل باءت بالفشل الذريع فكيف كان فى الامكان ان تنجح فى أدبنا العربى ؟ .

ومع ذلك فان العقاد يعترف بان ثمة محاولات ناجحة لادخال الرمزية لمعانيها المختلفة الى الادب العربى وان لم تكن تلك الفكرة جديدة عليه كل الجدة فهى موجودة فى المعرى فى « اللزوميات » . واهم من بذلوا تلك المحاولات هم جبران وميخائيل نعيمة . وقد كان جبران يستخدم طريقة يوحنا اللاهوتى ولكنه كان يقلد وليليام بلاك . بينما استخدم ميخائيل نعيمة اسلوب الانجيل ولم يذهب الى تقليد أحد من شعراء الغرب وشعره يعتبر نسخا من الانجيل . وقد كتب نعيمة كتابا بالانجليزية عن لغة الرموز .

وقد تبينت من خلال ذلك الجدل الروحى الطويل الذى دار بين ذلك الاديب الكبير وبينى انه يستنكر بصفة عامة فكرة ادخال الافكار الغربية الى أدبنا العربى فلكل أدب بيئته ومميزاته وروحانيته واشعاعه الخاص ، كما يرى أن لادبنا العربى من الامكانيات الضخمة ما يكفل له الارتفاع الى مستوى لايرقى اليه اى ادب آخر هذا اذا بذل أدباؤنا العرب الجهد اللازم لذلك .

وقد كان العقاد فى حديثه بحرا لاينضب وكان يتنقل من نقطة الى نقطة ومن شاعر الى شاعر ومن ادب الى أدب فى سعة اطلاع ورسوخ قدم واصالة أدبية مما جعل تلك اللحظات التى قضيتها معه من لحظات العمر التى لا تنسى رغم فشلى فى اقناعه باهمية المحاولات التى بذلها الرمزيون الفرنسيون وطرافتها . فسلام على العقاد .

« دكتورة . كوثر عبد السلام البحيرى »

حول الشاعر ابن حمديس والعرب فى صقلية

• بقلم محمد عبد الغنى حسن •

لفت نظرى فى العدد السادس والخمسين من الرسالة الغراء مقال حول آثار العرب فى صقلية عاد بنا كاتبه الى ماض مشرق من ايام العرب فى تلك الجزيرة التى اقام فيها العرب المسلمون اكثر من قرنين ببضعة وثلاثين عاما ، ثم اخرجوا منها على يد النورمان بعد أن قاوموا مقاومة عربية باسلة اطالت زمن الفتح النورمانى وعوقت بدايته بعض الوقت .

ولقد انصف الاستاذ كاتب المقال حين ذكر اسماء كريمة اسهمت فى التعريف بالحضارة العربية الاسلامية فى صقلية . وهى اسماء الاساتذة **امين الخولى ، ومحمد عبدالله عنان ، ومحمد كرد على** الذين كان لهم مشاركات – طويلة أو قصيرة – فى الكشف عن معالم هذا المجد العربى الذى ازدهر فى جزيرة صقلية زمانا ثم كتب له أن يندرس تاركا وراءه آثارا جليلة مادية ظلت ذات طابع حضارى ممتاز ذى اثر لم يغفله المنصفون من المؤرخين الاجانب الذين لم يستطيعوا ان ينكروا روائع الشمس الغاربة بعد ما ملأت العالم بعض الحين حضارة عربية متميزة . ومن هؤلاء المؤرخين الدكتور جوستاف لوبون مؤرخ حضارة العرب ، وحضارة الهند ، والمؤرخ الايطالى «ميشيل امارى» الذى كان عمدة للاستشراق الايطالى فى القرن التاسع عشر ، والذى تعد مجموعته الثمينة : (المكتبة الصقلية) منبعا خصبا يغرف منه كل من يريد التاريخ لصقلية العربية الاسلامية .

واذا كان الانصاف قد فرض على الاستاذ كاتب المقال المشار اليه ان يذكر اسماء ثلاثة من أدباء العرب ومؤرخيهم فى العصر الحديث ممن كان لهم فضل المشاركة فى القاء اضواء على تاريخ العرب والمسلمين فى جزيرة صقلية ، فانا نود أن نذكره باديب عربى معاصر له فى هذا الميدان الصقلى جهد مشكور لايجوز اغفاله ، فان كتاب «العرب فى صقلية» الذى الفه الدكتور **احسان عباس** الاستاذ بجامعة الخرطوم يعد احدث واوفى ماكتب من دراسة كاملة مستقلة فى هذا الموضوع . ومن عجيب ان التاريخ العربى الاسلامى فى صقلية يستهوى اديبا محققا مثل الدكتور احسان عباس يغلب عليه الطابع الادبى فى كتبه ودراسته . ولكن الدكتور الاديب سلك فى كتابه القيم هذا مسلك المؤرخ الثبت فافاد من كثير من المصادر والمراجع التى لم تتح لغيره ، وافاد من مخطوطات لم تقع لمن كتبوا قبله فى تاريخ صقلية وحضارتها ، كما افاد من طائفة من دواوين الشعر الصقلى الذى لم ينشر قبل هذا ، واستقامت له من ذلك كله دراسة تاريخية أدبية رصينة فى تاريخ صقلية فى العصر الاسلامى ، ومايدور حول ذلك ويتصل به من حياة سياسية ، وحياة اجتماعية وحياة عقلية ، وتاريخ صقلية فى العهد النورمانى وقد ظلت الصبغة الاسلامية باقية فيها ، كما كان للعرب فى ذلك العهد مشاركات فى المجالات الجديدة فلم ينعزلوا جملة ، ولم ينسحبوا من الحياة العامة حتى كان بلاط روجر الصقلى اقرب الى بلاطات العرب منه الى بلاطات الفرنجة ... وتشبه بملوك العرب والمسلمين فى الاستكثار من الحجاب والسلاحية وغيرهما ، او خالف – كما يقول المؤرخ ابن الأثير – عادة الفرنج فى ذلك فانهم لايعرفون عنها شيئا ...

وغلبت على الدكتور احسان عباس طبيعة الاديب فى كتابه عن العرب فى صقلية ، فعقد للشعر العربى فى صقلية الاسلامية بابا طويلا من الكتاب يقع وحده فى سبعة فصول وخاتمة . ولم يفته هنا ان يتحدث عن المكونات الكبرى فى شعر صقلية الاسلامية ، فوصف البيئة الجغرافية الطبيعية ، وتحدث عن الشعراء الصقليين واصولهم وطبيعة اجناسهم ، وعوامل ازدهار الشعر الصقلى ثم جنوحه الى الضعف وخاصة بعد موجة الهجرة ومغادرة الوطن فى اعقاب الفتح النورماندى .

والحديث عن الشعر هنا يسوقنا الى ملاحظة

اخرى نوردها تعقيبا على المقال الذى نشرته مجلة الرسالة حول آثار العرب فى صقلية . فقد ذكر كاتب المقال أن ديوان ابن حمديس الصقلى — الذى ذكره المؤرخ جورجى زيدان فى الجزء الثالث من تاريخه — (طبع فى رومية عام ۱۸۹۷ باللغة الايطالية وبعض اللغات الاجنبية الأخرى) . وهذا كلام يحتاج الى تصحيح وتعليق ، فان طبعة رومة ۱۸۹۷ هى طبعة عربية قام بتحقيق الديوان فيها المستشرق الأيطالى سلستينو سكيابارلى من رجال الاستشراق الايطالى فى القرن التاسع عشر وقد توفى بمدينة روما سنة ۱۹۱۹ ، وهو تلميذ للمستشرق الايطالى ميشيل آمارى الذى سبقت الاشارة اليه هنا . وقد عد الأب لويس شيخو اليسوعى نشرة لهذا الديوان من آثار همته الطيبة وحين نشر سكيابارلى ديوان ابن حمديس رجع فى تحقيقه الى نسختين خطيتين اولاهما نسخة الفاتيكان ،وهى مكتوبة بخط مغربى واضح مضبوط بالشكل ، ويرجع تاريخ كتابتها الى سنة ٦٠٧ هجرية ، وثانيتهما نسخة المتحف الاسيوى بمدينة لينتجراد «بطرسبورج سابقا» وهى مكتوبة بخط البقاعى سنة ١٠٠٦ هـ ، والبقاعى هذا من رجال القرن الحادى عشر الذين ترجم لهم «المحبى» فى كتابه : خلاصة الاثر .

أما طبعة مدينة بالرمو سنة ۱۸۸۳ التى اشار اليها المؤرخ جورجى زيدان فهى بالعربية ايضا وقد حققها منادا ، وعنى بنشرها كاترونيارى كما ذكرت ذلك دائرة المعارف الاسلامية ، وكما ذكره يوسف اليان سركيس فى «معجم المطبوعات العربية» وان كان الدكتور احسان عباس لم يشر الى هذه الطبعة من ديوان ابن حمديس .

على اننى ازف الى كاتب مقال الرسالة بشرى لاشك فى أن قلبه سيفرح بها اشد الفرح ، وخاصة بعد العناءالذى قال لنا انه لقيه فى البحث عن ديوان ابن حمديس الصقلى (فى المكتبات العامة والخاصة، ولاسيما مكتبات الجامعة المصرية والازهرية) فلم يعثر له على اثر .. نعم ! لاشك فى أن الاستاذ سيفرح عندما يعلم أن ديوان ابن حمديس الصقلى مطبوع منذ أربعة أعوام ومنشور فى «ديوان العرب» الذى تصدره احدى دور النشر فى بيروت . والكتاب يحمل فى طبعته هذه تاريخ سنة ١٩٦٠ ، وقد قام بتحقيقه الدكتور احسان عباس ، صاحب كتاب «العرب فى الاندلس» الذى سبقت الاشارة اليه والتنويه به فى موطن يجب أن تذكر للناس فيه افضالهم . وبهذا اضاف الدكتور احسان فضلا جديدا الى التراث الحضارى العربى الاسلامى فى صقلية . ويبلغ ديوان ابن حمديس فى طبعته الجديدة هذه ٥٨٨ صفحة مملوءة بانفاس ذلكم الشاعر الذى يضيف الى فحولته فى الشعر العربى لونا من الوان الحنين الى الاوطان فى القصيد العربى . ولم يكتف الدكتور احسان عباس بنشر الديوان الذى ظل زمانا طويلا محجوبا عن الايدى والعيون المتلهفة ، بل كتب له مقدمة فى اكثر من عشرين صفحة تعددراسة جيدة لشعرابن حمديس الصقلى ، وتعطى صورة دقيقة موجزة لقصة هذا الديوان الصقلى .

على أننا انصافا للحق الذى نبغيه ونؤثره على كل اعتبار نقول ان تحقيق ديوان ابن حمديس كان يكون أكمل واتم لو أن مخطوطة لينتجراد كانت بين يدى المحقق يرجع اليها مع مخطوطة الفاتيكان التى استطاع ان يحصل عليها ، وان يعارض بهاالنسخة المطبوعة القديمة من ديوان ابن حمديس . ويعتذر الدكتور احسان بانه كلف احد تلاميذه المسافرين الى موسكو بأن يحضر له صورة من نسخة الروسيا ولكن الظروف لم تسعفه ولم يحصل عليها ، فاكتفى بتحقيق الديوان على مخطوطة واحدة . وقد تكون العجلة والرغبة فى سرعة الانجاز قد حملتا الدكتور على سلوك هذا المسلك ، ولكن الاناة فى العلم اجمل وأليق ، فما كان احد ليلوم الدكتور لو انه اخر عمله عاما او عامين حتى يخرج هذا الاثر على اكمل وجوهه .

ومهما يكن من أمر فانى اشكر الاستاذ الغزالى حرب صاحب المقال عن آثار العرب فى صقلية ، فقد اثار لى بعض ملحوظات لم استطع ان اضن بها عليه ولا على القارىء العربى ، تصحيحا للحق من ناحية ، ووفاء لاصحاب الفضل من ناحية اخرى . فنحن فى نهضتنا ووعينا الفكرى الحاضر جديرون أن نعمق بحوثنا ودراساتنا ، وان نوسع دائرة معارفنا ، والا نجزم فى الحق بما لانملك الجزم فيه ، والا نغفل كل يد يسديها عربى الى امته والى ثقافته . ولاشك أن الاستاذ الغزالى حرب هو معنا على هذا الطريق ..

محمد عبد الغنى حسن

اشتراكيتنا
بين الدين والأدب والمجتمع

بقلم محمد احمد العزب

لست بالطبع اعتزم الحديث عن موقف الدين والأدب والمجتمع من المد الاشتراكى العارم ، الذى انبثق فى الكيان الحى لهذه الامة الموعودة الواعدة.. ولكننى فحسب سأتحدث عن اللمسات الفنانة العميقة الهادفة ، التى ابدعتها روح اشتراكيتنا الأصيلة فى خضم الدين .. والادب .. والمجتمع.

ولست أزعم ان الدين كان ارضا خرابا .. او صخرة جامدة .. فجاءت الاشتراكية فلمسته بعصاها السحرية الحافزة .. فأينع الجدب .. وتفجر الصخر .. وغردت الحياة.

لست أزعم هذا .. ولست اطيق أن أزعمه .. فان الدين لم يزل منذ براه الله شلالا يتدفق بالحياة قوية جارفة فى كل القطاعات .. والابعاد .. اننى فحسب اريد أن أقول : لقد مرت على كل مفاهيمنا الاصيلة الخصبة احقاب منطفئة عاثرة .. شوهت جمالها الباذخ .. وكبلت زحفها الصاعد ، وطمرت اضواءها فى ألفاف من ظلمات الجهل والتزييف .. وكان الدين ـ كالفن .. والسياسة .. والاقتصاد. واحدا من مفاهيمنا المقدسة التى زيفتها عصور الجهل والتمييع .. حتى كنا نسمع بين الحين والحين ، صرير الاقلام المريضة الهابطة .. التى تعقد صداقة هائلة بين الدين واستغلال الشعوب .. تحت ستار من هذه الواجهة الخلابة الخاتلة .. « حرية التمليك والاحتواء ».

وحين دمدم طوفان المد الثورى فى آذان الجماهير .. وظهرت طلائع ثورية مفكرة تنادى بحرية الجماهير لا حرية التمليك .. وعدالة التوزيع لا تكالب الجمع ، واشتراكية العيش لا انانية الاحقاد .. انفلتت من اطار الجمود المتزمت طلائع دينية مثقفة .. أزاحت عن كاهل الفكرة الدينية كل ما غلفها من ضباب وحيرة وضياع .. وهكذا كان الأدب.. والمجتمع .. وكل انماط الحياة.

ان الدين كثورة سماوية هادفة .. لا يمكن أبدا أن يقف سدا هائلا بين الجماهير وطموحها الباسل ولا يمكن أبدا أن يعوق زحفها المنتصر نحو غاياتها النبيلة .. وآمالها الثرة فى كرامة العيش وكرامة الحياة.

ان طبيعة الأديان السماوية تؤكد الاتجاه الاشتراكى النظيف .. الذى ينهض على ركائز وطيدة من الحب ، والمشاركة ، والسلام.

أليس موسى كان ثائرا على الاقطاع المتكالب الممثل فى « قارون » وعلى الطغيان الضارى الممثل فى « فرعون » .. ؟

أليس **عيسى** كان ثائرا على المادية اليهودية الجشعة ، وعلى الجبروت الروماني الحاقد ٠٠ ؟

أليس **محمد** كان ثائرا على الفوارق الطبقية الشاسعة ٠٠ وعلى الارهاب القبلى الجائع المنهوم ٠٠؟

ان الدين ليس اغلالا يطوق بها الرب أعناق البشر ٠٠ انه ثورة صارمة لتحطيم الأغلال والأطواق ٠٠ وتحرير الملايين فى كل جيل من أجيال الانسان ٠٠ وفى كل مرحلة من مراحل التاريخ ٠

هذه هى طبيعة الدين ٠٠ ان الدين كجوهر رسالى ٠٠ وكحقيقة موضوعية ٠٠ لا يمكن أبدا أن يحرق المسافات المضيئة الخصبة بينه وبين الجماهير ، بل هو على النقيض ٠٠ يزرع الجدب ٠٠ ويضيء المنطفىء ٠٠ويهرول الى الملايين ٠٠ ولكن اقلاما حاقدة ، أو بليدة أو عمياء ٠٠ قد أثقلت ظهره المحتمل باعباء غبية ، قعدت به الى حين ، فى زوايا المسجد ٠٠ وأبهاء الكنيسة ٠٠ وكهوف الجدل اللانهائى العقيم ٠٠ وكان من الممكن أن يظل الدين هكذا قابعا بين أحضان الزوايا ٠٠ والابهاء والكهوف ٠٠ منحنيا على جراحه النازفة ٠٠ منطويا على ضوئه المغلول ٠٠ لولا أن رجة البعث زلزلت الارض ٠٠ تحت أقدام السدنة والرهابين ٠٠ فتهاووا الى القاع ٠٠ تماما ككل الاوراق الذابلة المريضة الصفراء ٠٠ وانبثق من ضمير المعاناة الشعبية الكادحة رعيل متحرر مؤمن ٠٠ حمل المشاعل ٠٠ وأضاء الدياجر ٠٠ وعصف بكل المفاهيم الغبية الحاقدة ٠٠ واطلق للمارد الجبار ــ الدين ــ عنانه ، فانطلق يعانق الشمس ٠٠ ويبارك الزحف ٠٠ ويغنى للجماهير ٠

***

هذه هى الظاهرة التى أحب أن نقف عندها طويلا ٠٠ لقد كانت الدعوة الى الاشتراكية ــ منذ سنوات ــ مروقا عن جادة الدين ، وارتماء ذاهلا فى احضان الشيوعية ٠٠ كما كان يزعم الجامدون ٠٠ وحين قامت الثورة ٠٠ وحددت الملكية الطاغية ٠٠ لم تستطع الخفافيش ان تبارك أو تصمت ٠٠ لقد انطلقت فيما يشبه السعار المتدعل ، تفتى هنا ٠٠ وتدس هناك ٠٠ لتوهم الشعب الصابر بأن تحديد الملكية يطفىء الشمس ٠٠ ويجفف السحاب ٠٠ ويغضب الرب ٠٠ ولكن ضمير الشعب كان أقوى واصمد ٠٠ لقد انتصر ٠٠ فلم يصغ بعد الى أنات الحيارى والانهزاميين ٠

بالطبع ٠٠ لم يكن كل المفكرين من هذا النموذج الجامد المتيبس ٠٠ فقد كانت هناك طلائع ثورية تذكر الآن فتشكر ٠٠ ولكن الكثرة الكاثرة ٠٠ كانت كما نقول ٠

اذن ٠٠ فالمعركة كانت صراعا بين التوثين العقائدى الأعمى ٠٠ والتحرر العقائدى المبصر فى مجالات الفكر الدينى ٠٠ وانتصر الضوء ٠٠ وكان لابد له أن ينتصر !! ٠٠ اتشك ؟ فافتح المذياع اذن ٠٠ أو شاهد التليفزيون الآن ٠٠ أو اقرأ كتابا مما يكتبه هؤلاء ٠٠ فستسمع وتشاهد وتقرأ انطلاقات دينية كبرى ٠٠ تضع الانسان فوق قمته السامقة ٠٠ فى صداقة حرة مع الدين ٠٠ كلمة الله الى الوجود ٠٠ كل الوجود ! ٠٠

ولننتقل بعد الى الأدب ٠٠ ولست أعنى بالادب شيئا سوى هذه المعطيات الذهنية الكبرى التى تتدفق فى صحراء الفن على السواء ٠٠ مسرحا ، أو كتابا او فلسفة لحياة ٠

ولست أغلو حين أقول : ان الاشتراكية قدخلقت فى محيط الادب والفن اتجاها جديدا ٠٠ يحمل فى وجهه ملامحه ٠٠ وفى روحه خصائصه ٠٠ وفى معطياته أهدافه وغاياته ٠

وليس الأدب الاشتراكى شيئا سوى هذا الأدب النابع من ضمير الحركة الجماهيرية المندفعة فى مدها الثورى ٠٠ الرانية الى فجر انطلاق انسانى ملون بالحب ٠٠ والزمالة ٠٠ والثراء ٠

انه الأدب الثائر المرهف الذى يرود الجموع فى نضالها المؤمن ٠٠ ملتزما ــ بوحى من وعيه الذاتى ــ باندفاعة الثورة الجماهيرية ٠٠ بكل المعاناة ، والعذابات ٠٠ والأشواق التى تستقطبها الحركة الاشتراكية ! ٠٠

وللأدب الاشتراكى كما اسلفت خصائصه وسماته وايحاءاته ٠٠ انه ليس صدى مكرورا لاصوات غابرة ٠٠ ليس مواكبة لهتافات أدبية كانت ٠٠ انه أدب ريادى منبثق عن أصالة ذاتية واعية ٠٠ تكتشف من خلال تجاربها الهائلة روافد الالهام النابعة من شلالات المجتمع الثائر العملاق ! ٠٠

انه أدب متمرد ٠٠ لا يؤمن بالتقولب ٠٠ أو السلفية ٠٠ ولكنه مع ذلك لا يرفض الاستفادة الواعية من تجارب الماضى ٠٠ وصراعات الأجيال ، ومواريث الزمن ؟! ٠٠

انه أدب يتجه بكل طاقاته التعبيرية الى الكشف فى اطاراته المختلفة عن العلاقات الانسانية المتشابكة .. ومحاولة التصعيد بهذه العلاقات .. حتى يمكن أن تستوى على أفق الاحساس الوامض بمعنى الزمالة والمساواة ! ..

ومن هنا .. تحمل الأدب العائش فى ظلال المفهوم الاشتراكى عبء العمل المر فى خلق موجات من الارهاف الشعورى فى جماهيره المتلقية أو القارئة ، لأن هذا الارهاف الشعورى وحده هو الضمان الأكيد لعملية التهيئة الرائعة لغرس كل العواطف الايجابية والمبادىء الاشتراكية .. مع ضمان أكيد لما ينتظر منها من حصاد ! ..

وهنا .. لابد أن نقرر حقيقة .. هى ان الأديب .. أو الفنان .. الاشتراكى .. انسان ملتزم ـ بوحى من وعيه الذاتى ـ بكل احتياجات شعبه البطل .. لأنه لا يحيا أبدا فى اطار مطامحه الفردية الضامرة .. وانما يلقى بنفسه فى اندفاع الى أعماق الخضم الجماهيرى العنيف ليسبح مع كل السابحين! .

ولقد أعطت الاشتراكية العربية للأديب والفنان حقهما كاملا .. ليس فى المجال المادى وحده .. وانما فى المجال القيادى العريض .. ان الاشتراكية كنظام جماهيرى أفضل توسع دائرة التذوق الفنى .. وتوسع قاعدة الجماهير القارئة .. بما تتيحه للشعب من اطمئنان مادى واقتصادى وسياسى ونفسى .. وليس أجمل ولا أروع للفنان الخالق المبدع .. من أن يحس بانطلاقة آرائه محلقة فى ابعادها المترامية .. وآفاقها الفساح .. معاشة بين الجماهير ! ..

ولكن .. هل أبدع المد الاشتراكى فى مجالات الأدب والفن شيئا غير الذى كان .. ؟ أم انه ـ فحسب ـ عدل فى المفاهيم الكائنة .. وعمق المجرى الذى يحتضن الموج والتيار ؟ ..

ان الاجابة على هذا التساؤل .. قد تتطلب موقفا نقديا شاملا .. يستعرض كل ما أبدعه الكاتبون قبل الثورة .. وكل ما أبدعه الكاتبون بعدها .. ثم يصدر الحكم فى ذلك .. على ضوء من الظروف المعينة التى عاش فيها الأدباء هنا وهناك .. لكن ـ فى اطار المقال ـ لا أستطيع أن أفعل هذا ولا شيئا منه .. وحسبى فقط أن أرصد الظواهر .. وأقتنص الملامح .

والواقع الذى لاشك فيه .. ان الاشتراكية العربية قد خلقت أنماطا فى الأدب العربى .. لم تكن موجودة فيه .. لقد خلقت نظرية كاملة .. فى محيط الأدب والفن .. تلك .. هى تسليط الضوء على نوع العلاقة الانسانية بين الفرد الكادح والفرد المسيطر فى اطار المجتمع الجديد .. لقد كان الأدب والفن .. مجرد شاهدين يرددان ضرورة التفاوت الطبقى الشاسع بين الكائن « الأدنى » والكائن « الأعلى » .. ولكن الاشتراكية ـ كمفهوم ثورى ـ حطمت هياكل هذه النظرة .. وجددت العلاقة بين كل « الكائنين » على أساس من الحب .. والزمالة .. وتبادل التقدير .. !

ومن هنا .. وكرد فعل لتآله النظرية الطبقية السالفة اندفعت كل الأقلام المعبرة .. لتقف الى جوار الرجل الساذج البسيط .. فتصور كفاحه الدامى ، وتضاله الباسل .. واصراره الانسانى الخصيب .

ولماذا لا نزعم أن الاشتراكية قد أبدعت أو قل انها قد بعثت من سبات النسيان « ألفاظا أدبية معينة » .. « وأنماطا تعبيرية خاصة » صاحبت ميلادها المتوثب وعايشت كفاحاتها الباسلة .. حتى استوت معها على قمة النصر العظيم .. ؟

افتستطيع بعد .. أن تنكر على ما أقوله .. من أن الثورة الاشتراكية العارمة .. قد أعطت الأدب مفاهيم جديدة .. وموقفا جديدا .. ونظرية جديدة .. ؟ فاذا أنت لم تنكر على ما أقول .. فحسبى .. وحسب اشتراكيتنا هذه الكلمات .. !

ولننتقل بعد الى التحديق فى نوع الأثر الذى أحدثته الاشتراكية فى حقل المجتمع .. وقبل أن نخوض فى هذا الصدد .. لابد أن نقرر أن الاشتراكية تمثل حضارة جديدة متطورة .. ودائما تحتاج الحضارات الجديدة الى مساحات زمنية هائلة .. حتى تثبت وجودها .. بما تقوم عليه من مثل وأهداف .. انها تمر بمراحل الكائن العضوى من نشوء .. ونمو .. وارتقاء .. ثم هى فى تطورها منوطة بروح الداعين اليها .. واصرار العاملين عليها .

انها عمل دائب على تطوير الموارد والدخـــول والثروات من جهة ٠٠ وعدالة توزيعها بين الجماهير من جهة أخرى ٠٠ انها كفاية وعدل ٠

فاذا كان ذلك كذلك ٠٠ فان المجتمع العـربى المتحرر ٠٠ الذى آمن بالاشتراكية أسلوبا للحياة٠٠ قد تطور خلال ايمانه بها ٠٠ وتفاعله معها تطـورا هائلا خطيرا ٠

لقد كانت الرأسمالية الطاغيـــة ٠٠ والتحكم الطبقى الفاجر ٠٠ والفساد السياسى المرتشى ٠٠ والتبعية المذهبية الغاشمة ٠٠ سدودا حائلة بين القوى الجماهيرية الحقيقية ٠٠ وفجر انتصاراتها الرائعة٠٠ وحين تحطمت كل هذه الأنماط تحت وطأة الضربات القوية الباسلة ٠٠ التى كانت تحفزها حتميـــة التطـــور ٠٠ وضرورة المرحلة ٠٠ انطلقت القوى الجماهيرية تقود وتسدد ٠

ولم يكن للاشتراكية أن تكون ٠٠ لو لم ترتكز أساسا على قاعدة شعبية أصيلة تزرع بيـــد ٠٠ وتحصد بأخرى ٠٠ مهتـــدية فى ذلك كله بروح التهيؤ الكامل للانتفاض التاريخى الرهيب ٠٠ !

واذا كانت لكل ثورة اجتماعية هادفة آمالهـــا الكبرى ، وأحلامها العريضـــة ٠٠ فان للاشتراكية العربية أهدافها الكبار التى تدور فى هذا الاطار ٠٠

اولا : توسيع قاعدة الملكية الفردية فى الزراعة ٠٠

ثانيا : خلق قطاع عام كبير ملتزم لا يلغى بطبيعته القطاع الخاص ٠٠

ثالثا : تقديس العمل كأوة دافعة للتقدم باعثة على النهوض ٠٠

رابعا : الحل السلمى لكل المتناقضـــات الطبقية الهادمة ٠٠

خامسا : التعاون فى مجال الانتاج والاستهلاك ٠٠

سادسا : تيسير الحصول على الاحتياجات الضرورية لكل أبناء هذا الشعب ٠٠

سابعا : الانتقال ســياسيا من حكم دكتاتورية الاقطاع المتحالف مع رأس المال الى حكم الديمقراطية الممثلة لحقوق الشعب العامل وآماله ٠٠

ثامنا : تحرير اقتصـــادنا الوطنى من التبعية الذليلة لاقتصاديات غريبة ٠

ولست أريد أن استطرد ٠٠ فأنقل نصوصـا من الميثاق الوطنى ٠٠ عن ضرورة الحل الاشتراكى ٠٠ وحتمية الثـورة ٠٠ وركائز الاشـتراكية ٠٠ بل أشير من بعيد كما أسلفت حتى لا أخرج بالمقال الى بحث ٠٠ ولكنى فحسب ٠٠ أؤكد هنا ـ كما يلاحظ ذلك الميثـــاق ـ أن اشـــتراكيتنا المتعـانقة مع الديمقراطية ٠٠ هما جناحا الحرية الحقيقيـة التى ينشدها المجتمع ٠٠ وبهما معا نستطيع أن نحلق الى الآفاق العالية التى تتطلع اليها جماهير الشعب٠٠؟!

واذا كانت بعض المجتمعات تتعصب للاشـباع المادى للجماهير ٠٠ على أنه الغاية المنشـودة ٠٠ ضاربة بعـد ذلك بالقيم والأشـواق والفن عرض الحائط ٠٠ لأنها ترى فى هـذه الأشــياء وسائل محققة لغاية الاشـباع المادى ٠٠ فاذا تحقق بها أو بغيرها فقد استغنى عنها ٠٠

واذا كانت بعض المجتمعات الأخرى تقول : لا ٠٠ اننا نفضل أن نحيـــا فى اطار التطلع الفنى ٠٠ والتشوف المثالى حتى ولو حرمت الجماهير من بعض احتياجاتها المادية ٠٠ على أن تحيا فى بيئة ـ كمال متيبس جامد ٠٠ كما يلاحظ ذلك الفيلســـوف الانجليزى المعاصر « برتراند رسل » ٠٠ فاننا هنا نقول : أبدا لا نريد أن نفاضل بين هذا وذاك ٠٠ ولا نريد أن نقع فى أحابيل الخيار بين هذه او تلك ٠٠ لأن طبيعة مجتمعنا الشرقى تحتم أن يتعانق على صعيده الأفقان ٠٠ المادى والمعنوى ٠٠ وكذلك اشتراكيتنا ٠٠ !

وفى ظلال هذا المفهوم الثورى للاشتراكية العربية ٠٠ يتاح للمجتمع أن يتعادل ويتكامل وينمو من داخل الحركة المتطورة نموه الرائع ٠٠ فلا يتحطم ولا ينهار ٠

اجل ٠٠ لقد فتحت الاشتراكية العربية للمواطن البسيط كل نوافذ التأبى والشموخ ٠٠ وأطلت به على عوالم الأمل الواثق فى غد أفضل ٠٠ ومستقبل وامض منشود ٠٠ وتلك هى رسالة الثورات الخالدة ٠٠ أن تثرى على يـــومك ٠٠ وتوشى لك غدك ٠٠ وتثرى احساسك النابض بكل الوان العطـاء ٠٠ وهكذا فعلت ثورة الشعب المنبثقـــة من وعينـــا الاشتراكى المطل المضىء ٠٠!

محمد أحمد العزب

السياسة الجنائية الشرعية

• بقلم أحمد فتحي بهنسي •

يقال ساس الأمر سياسة بمعنى دبره وقام به ، وسوسه القوم اى جعلوه يسوسهم ٠

وقد اختلف فى المراد بالسياسة الشرعية فى عبارات المسلمين :

فالفقهاء :

أرادوا بها التوسعة على ولاة الأمر فى أن يعملوا ما تقضى به المصلحة مما لا يخالف أصول الدين وان لم يقم عليه دليل خاص ٠

وغير الفقهاء :

أرادوا بها معنى أعم من هذا يتبادر من اللفظ ويتصل باستعماله اللغوى ، وهو تدبير مصالح العباد على وفق الشرع ٠

فالمعنى الفقهى للسياسة الجنائية الشرعية معنى خاص ٠

والمعنى اللغوى لها معنى عام ينسحب على الخطة التى رسمها المشرع سواء للجريمة أو للعقوبة أو للمجرم نفسه ٠

وسنقصر البحث فى هذا المقال على المعنى الفقهى للسياسة الجنائية الشرعية ٠

كانت الشريعة ، كما وصفها بحق ابن قيم الجوزية مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه وظله فى أرضه ، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها ٠

والفقهاء فريقان فى الوصول الى تلك السياسة الحكيمة :

الفريق الأول :

يقرر أنه لا سياسة الا فيما وافق النصوص ، وبالغ بعضهم فى هذا الرأى فعطلوا الحدود وضيقوا الحقوق وجعلوا الشريعة قاصرة لاتقوم بمصالح العباد محتاجة الى غيرها ٠ والذى دفعهم الى ذلك الرأى تقصير فى معرفة الواقع وفى فهم الشريعة ٠

الفريق الثانى :

وقد انتصر له أبو الوفاء بن عقيل الحنبلى يقول : ان السياسة ما كان معه الناس أقرب الى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وان لم يشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم ولانزل به وحى ٠ ومن قال : لاسياسة الا بما نطق به الشرع فقط غلط وغلط الصحابة ، فقد جرى بين الخلفاء الراشدين مالايجحده عالم بالسير ٠

وقد احتج هؤلاء بأدلة منها

أولا : ما فعله أبو بكر رضى الله عنه ٠

١ ـ حرق اللوطية كعقوبة الاعتياد على جريمة اللواط :

روى أن خالد بن الوليد كتب الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه وجد فى بعض نواحى العرب رجل يؤتى كما تؤتى النساء فاستشار الصديق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان أشدهم قولا ورأى أن يحرقوا بالنار ٠ فكتب أبو بكر الى خالد بحرقهم ثم حرقهم عبد الله بن الزبير فى خلافته ثم حرقهم هشام بن عبد الملك ٠

وذلك على الرغم من ان القتل بالتحريق محرم لأنه من التعذيب المنهى عنه ، قال ابن العربى :

بلغ ابن عباس أن عليا حرق ناسا ارتدوا عن الاسلام فقال ابن عباس : لم أكن لأحرقهم بالنار لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لاتعذبوا بعذاب الله

٢ ـ امر بجلد من وجد مع امراة اجنبية عنه في فراش واحد مائة جلدة ، مع أن الحد في الزنا له نظام معين في الاثبات لا بد من الالتجاء اليه ولو ثبتت الجريمة فعقوبتها بالنسبة لغير المحصن مائة جلدة ٠

ثانيا : ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

١ ـ حرق حانوت الخمار بما فيه كما حرق قرية يباع فيها الخمر ٠ قال يحيى بن يحيى : حدثني الليث أن عمر بن الخطاب حرق بيت رويشد الثقفي لأنه كان يبيع الخمر ، قال له :

أنت فويسق ، ولست برويشد ٠

وذلك على الرغم من أن الحد في الخمر معروفة مقاديره ٠

(ب) حرق قصر سعد بن أبي وقاص لما احتجب في قصره عن الرعية ، فقد ذكر الامام احمد رحمه الله في مسائل ابنه صالح : أنه دعا محمد بن مسلمة فقال : اذهب الى سعد بالكوفة فحرق عليه قصره ٠ ولا تحدثن حدثا حتى تأتيني ٠ فذهب محمد الى الكوفة فاشترى من نبطي حزمة من حطب ، وشرط عليه حملها الى قصر سعد فلما وصل اليه القى الحزمة فيه ، واضرم فيها النار ، فخرج سعد فقال : « ماهذا ؟ » ٠

قال : « عزمة امير المؤمنين » فتركه حتى احترق ثم انصرف الى المدينة ٠

كما روى أن جماعة من اهل الكوفة ، على رأسهم الجراح بن سنان الأسدى يؤلبون على سعد ويثيرون به ويشكونه الى عمر في كل شيء حتى يقولوا انه لا يحسن الصلاة ولقيهم عمر بالمدينة وسمع شكاتهم ثم قال لهم :

« ان الدليل على ماعندكم من الشر نهوضكم في هذا الامر وقد استعد لقتالكم من استعد ٠ وأيم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم ! » وكان عمر قد أقام محمد بن مسلمة على تحقيق ماينسب من الشكايات الى عماله ، فاوفده الى الكوفة ، فجعل يسال الناس عما نسب الى سعد ، فيقولون : لا نعلم الا خيرا ولا نشتهي به بدلا ، لم يخالف من ذلك الا الذين اتهموه ٠ وعاد ابن مسلمة الى المدينة ومعه سعد والجراح بن سنان وأصحابه ، فاستمع اليهم عمر فلم يجد ما يؤاخذ به سعدا ٠ لكنه آثر مع ذلك الا يدعه في هذا الموقف الدقيق على عمله ، وبالكوفة من يثيرون الناس به ، فسأله : من استخلفت على الكوفة ؟ قال : عبد الله بن عبد الله ابن عتبان ٠ وكان ابن عتبان شيخا كبيرا من أشراف الصحابة ، فاقر عمر نيابته على الكوفة واستبقى سعدا بالمدينة معزولا من غير عجز ولا خيانة ولولا ما كان سعد قد أبلغه الى عمر عن اجتماع الفرس بنهاوند وما كان قد شافهه به ، بعد قدومه المدينة من تهيؤهم للقتال وتعاهدهم عليه ؛ لرده الى عمله ولما سمع فيه لشكايات لم يثبت شيء منها عنده ٠

فعل عمر بن الخطاب بسعد ابن أبي وقاص كل ذلك على الرغم مما عرف من مناقب سعد بن أبي وقاص ومن اهمها :

١ ـ أنه قام بحراسة النبي صلى الله عليه وسلم أثناء نومه على ما روى مسلم عن عائشة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة ٠ فنام النبي صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا غطيطه ٠

وفي رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ما جاء بك ؟ فقال : وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نام ٠

٢ ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع له ابويه يوم أحد ، فقد أخرج مسلم عن علي كرم الله وجهه : ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لأحد غير سعد بن مالك فانه جعل يقول له يوم أحد : ارم فداك أبي وأمي ، وقيل أنه جمعهما أيضا للزبير ٠

٣ ـ نزلت فيه آيات من القرآن : فقد حلفت أم سعد ألا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب ٠ قالت : زعمت أن الله وصاك بوالديك وانا أمك وانا آمرك بهذا ٠ قال : مكثت ثلاثا حتى غشي عليها من الجهد ٠ فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فانزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية : ووصينا الانسان بوالديه الى قوله : وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ٠

٤ ـ هو أحد الستة الذين عينهم للخلافة بعده وهم :

« عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وعبد الرحمن

ابن عوف ، وسعد ابن ابى وقاص · ومن المأثور عنه فى استخلافهم قوله : «لا أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فأيهم استخلف فهو الخليفة من بعدى ، وبعد أن سمى هؤلاء الستة اردف : فان أصابت سعدا فذاك ، والا فأيهم استخلف فليستعن به ؛ فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة » ·

(ج) كان عمر يعس فى المدينة فسمع امرأة تقول :

هل من سبيل الى خمر فاشربها
أم من سبيل الى نصر بن حجاج

فلما أصبح أتى بنصر فاذا هو أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فحلق شعره فازداد جمالا فنفاه الى البصرة خشية أن يفتتن النساء بجماله مع أنه لم ينسب اليه أنه ارتكب محرما ·

(د) صادر أموال عماله لما اكتسبوها بجاه الوظيفة · وقد جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه ان عمر بن الخطاب صادر نصف مال عمرو بن العاص والى مصر عندما وجد ان ماله قد زاد بشكل ملحوظ اثناء ولايته على مصر ، وهو بهذا وغيره ابتدع القانون المعروف الآن باسم « من أين لك هذا » ·

(هـ) روى أن معن بن زائدة اصطنع خاتما على نقش خاتم بيت المال ثم جاء به لصاحب بيت المال فأخذ منه مالا فبلغ عمر ذلك فضربه مائة وحبسه فكلم فيه فضربه مائة أخرى فكلم فيه فضربه مائة ونفاه ·

ثالثا : ما فعله بقية الخلفاء الراشدين والأئمة ·

(أ) جمع عثمان الناس على مصحف واحد ، وحرق المصاحف المخالفة للمصحف الذى جمع الناس عليه وهو الذى بلسان قريش ·

روى عن انس بن مالك أن حذيفة بن اليمان كان يغازى أهل الشام وأهل العراق فى فتح ارمينية واذربيجان فأفزعه اختلاف الناس فى القرآن فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة أم المؤمنين ان ارسلى الى بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها عليك · فأرسلت حفصة بها الى عثمان ، فأرسل الى زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فأمرهم أن ينسخوا الصحف فى المصاحف ، ثم بعث عثمان فى كل افق بمصحف من المصاحف التى نسخوها ثم امر بما سوى ذلك من الصحف أن يحرق حتى يجمع الناس على قراءة واحدة ، ويرتفع من بينهم الخلاف ·

(ب) حرق على رضى الله عنه الزنادقة الرافضة مع علمه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل الكافر · ولكن لما رأى امرا عظيما جعل عقوبته من أعظم العقوبات ليزجر الناس عن مثله ·

كما القى اللوطى من شاهق على رأسه ·

(حـ) روى عن الامام مالك :

قال ابن القاسم ، سئل مالك رحمه الله عن فاسق يأوى اليه أهل الفسق ، ما يصنع به ؟ قال : يخرج من منزله ، وتكرى عليه الدار والبيوت فقلت : الا تباع ؟ قال : لا ، لعله يتوب ، فيرجع الى منزله ، قال ابن القاسم : يتقدم اليه مرة أو مرتين أو ثلاثا ، فان لم ينته أخرج واكريت عليه ·

قال ابن رشد : قد قال مالك فى الواضحة : انها تباع عليه ، خلاف قوله فى هذه الرواية ، قال : وقوله فيها أصح ، لما ذكره من أنه قد يتوب ويرجع الى منزله · ولو لم تكن الدار له وكان فيها بكراء ، أخرج منها واكريت عليه ولم يفسخ كراؤه فيها ، قاله فى كراء الدور من المدونة ·

وقد روى يحيى بن يحيى أنه قال : أرى أن يحرق بيت الخمار ·

ففى مثل هذه الأمور وما شابهها وجد الخلفاء الراشدون والأئمة أنفسهم أمام وقائع تستلزم منهم سرعة البت فيها فاهتدوا بروح التشريع الحكيمة واستهدفوا المصلحة العامة فجاء حكمهم وان كان قد بدا قاسيا الا أنه صادف الحق والعدل وراعوا به مصلحة الأمة وصلاح حالها ·

وهذا السبيل الذى سلكه المسلمون الأولون جعلهم لا يضيقون بحادث أو حاجة ولا يقصرون عن تحقيق اية مصلحة ولا عن مسايرة الزمن فى تطوره فظهرت الشريعة وهى وحدة كاملة متكاملة اوفت بمصالح الناس ·

ولكن هل تغيرت هذه السياسة بتغير الأزمان والأماكن أم ظلت ثابتة ابد الدهر على الجيل الذى ابتدعت فيه والأجيال التى تلتها ؟ هذا ما نبحثه فى القريب ان شاء الله ·

« أحمد فتحى بهنسى »

أحمد بن ماجد ... جهوده وأعماله

تأليف : شوموفسكي
ترجمة : محمد منير مرسي

ان كل ما حصل عليه « فيران » من مواد جافة وتحدث عنها ، هي بعيدة كل البعد عن الكمال . فمن بين الاثنين وثلاثين مؤلفا التي ثبت انها من مؤلفات ابن ماجد لا يوجد فيها اي مؤلف يحتوي على حقائق لها علاقة بسيرة المؤلف . ومن هنا كان عدم معرفتنا بتاريخ ميلاده ووفاته ، وكذلك فترة تاليف معظم أعماله .

والآن اصبحت الصورة العامة عن المؤلف معروفة لنا . فالبداية قد وضعت واصبحت الأبحاث التالية سهلة نظرا لوجود هذه البداية المدعمة . والاسم الكامل له هو شهاب الدين احمد بن ماجد ابن محمد بن معلق السعدي بن ابي الركائب النجدي . ويدل نسبه على ان اصل اجداده من الشمال العربي . اما مسقط راسه فهو مدينة جلفار بعمان . هذا على الرغم من ان المؤرخين البرتغاليين من القرن السادس عشر ارجعوا نسبه جهلا الى اصل هندي واسموه « بحار الجوزرات » « جويش وكاشتانيدا » ، أو بربري الجوزرات « باروش » . وفي اعتقادي ان الموقع الجغرافي لوطن ابن ماجد تحكم في اختيار مهنة بعض من حمل اسم عائلته .

فعمان توجد عند مدخل المحيط الهندي وعلى شاطىء الخليج الفارسي – اى على طرق التجارة المنتعشة التي تاتي من اسواق المحيط الهندي الى المناطق الغنية المتجمعة حول « بيرسبول » الساسانية ثم حول بغداد العباسية . وعلى الضفة الأخرى سيراف وخوارزم وهما مدينتان قديمتان في ايران كانتا المركز الدولي للتجارة البحرية . وعن طريقهما مباشرة احتفظت جنوب غرب آسيا بالعلاقة التجارية المستمرة مع الشاطىء الشرقي لافريقيا ومدغشقر والجزء الغربي من الهند وسيلان وجزر اندونيسيا ، وكذلك احتفظت بالعلاقة التجارية مع الصين البعيدة . وبالطبع كان شعب كلا الشاطئين العماني والفارسي مرتبطا بالبحر منذ وجوده . وكان بعضهم مرتبطا طول حياته بعمل شاق هو صيد اللؤلؤ . وبعضهم حقق ثروة عن طريق السمسرة في التجارة وسعيهم المستمر وراء المكسب السهل واصبحوا ملاك سفن ، وقاموا برحلات خطيرة عن طريق المحيط الى الاراضي الغنية في شرقه وغربه . اما البعض الآخر فقد وهب نفسه لدراسة فن الابحار وتفهم قواعده ، واصوله الثابتة الموجودة في أوراق البردي الايرانية القديمة « راخ نامك » التي تنوقلت من جيل الى جيل واصبحوا ملاحين بفضل معرفتهم الجيدة بالبحر . ولكن الواقع القاسي لحياة البحر ادى الى ادخال بعض التعديلات على القواعد القديمة وعلى ضرورة تحديد الخلاف بين النواحي النظرية والعملية . ومن هنا قام كل ملاح بتاليف مجموعة كبيرة أو صغيرة من المقالات البحرية .

والى هذه المجموعة الثالثة ينتمي ابن ماجد الذي ورث هذا العمل عن جده وابيه .

ففي القرن الخامس عشر لم يكن من النادر وجود عائلات توارثت فن الملاحة .

والملاح هو في نفس الوقت قبطان السفينة . ويعتبر الرجل الثاني بعد صاحبها . وعليه تقع مسئوليات جسام . فالحفاظ على ارواح طاقم السفينة والبضائع الثمينة وسلامة وصول السفينة الى الميناء المقصود ، انما يتوقف كل ذلك على معرفته بظروف الابحار في الطريق المطلوب ويتوقف على قدرته على التغلب على الصعاب المختلفة والأخطار غير المتوقعة احيانا . وكل هذا كان يتطلب من قائد السفينة اظهار مهارات مهنية وسيطرته على قسط كبير من المعلومات النظرية والعملية . ويجب ان يكون شجاعا غير متهور ، حذرا غير كسول ،

محافظا غير متزمت ، ذا أخلاق عالية ، لكنه غير متساهل ، دقيقا فى الكلام صارما فى العمل . وأن يكون استاذا فى عمله على السفينة ، ومثالا للأخلاق التى يجب أن يتحلى بها المواطن فى أرض غريبة .

وأهم واجب معنوى للملاح الا يهرب من سفينته ولا يتركها حتى الرمق الأخير وان يكون وفيا لها بغض النظر عن اى شىء . وهذا الواجب واضح حتى فى الآثار القديمة للأدب العربى كما هو مذكور عن القبطان بزرج بن شهريار فى عجائب الهند : نحن الأخوة الملاحين مرتبطون بواجباتنا واقسمنا الا نغادر سفننا حتى النهاية المهلكة . نحن الملاحين نصعد على ظهر السفينة وبهذا ترتبط بها حياتنا ومصيرنا ، فاذا نجت السفينة نجونا واذا هلكت هلكنا معها .

وفى عصر ابن ماجد كانت الشروط التى ينبغى توافرها فى الفلاح قد اخذت معنى كبيرا لدرجة انها كانت مدونة ضمن القوانين الهامة للدولة . ويتضح هذا فى القوانين البحرية لمملكة الملايو الصادرة بأمر الأمير محمود شاه ، وكتبها بعض الملاحين من الملايو حيث يقول فى المقدمة :

« هنا قوانين متبعة لاستعمال المراكب وجميع السفن عامة فى البحر والموانىء . فعلى كل شخص أن يتكيف مع ما هو مقرر عليه حتى يتمكن من تأديته بالضبط وبنظام تام . ويجب مراعاة هذه القوانين فى كل المناطق الخاضعة لسيطرتنا وحيثما توجد الهيئات البحرية التى لها حق التفتيش البحرى . اما القوانين المدنية فتسرى على المناطق الداخلية من الدولة . ولذلك يجب اتباع القوانين البحرية على البر . وللبحارة السلطة والسيطرة على ظهر السفينة حتى يامنوا من الخلافات والمنازعات ويمنعوا اى فرد من التصرف على هواه ، ويتجنبوا الصعاب غير المتوقعة المحتمل حدوثها فى البحر . فاذا اتبعت هذه القوانين فمن يجرؤ على الوقوف امام صاحب السفينة ؟ فهذه القوانين صادرة عن صاحب العظمة والسلطان محمود شاه صاحب السيطرة على أرض الملايو ليؤمن التجار الأجانب ذوى العلاقات الطيبة معه ومع المسلمين فى البحر واليابسة .

اما الفصل الثامن فهو عن المعلم المسئول عن قيادة السفينة .. فاذا حدث اثناء الابحار أن تعرض المعلم لأزمة فيجب عليه بعد عودته الى وطنه ان يوزع الصدقات على الفقراء بمناسبة نجاته من الأزمة . واذا حدث أن أهمل المعلم فى قيادة السفينة وترتب على هذا أن السفينة اصطدمت بعقبة وتحطمت ، فهو محكوم عليه بالموت اذا لم تظهر عناية الله الجبارة لترعى عبده .

وواجبات المعلم سواء فى البحر المفتوح او على الأرض تنحصر فى دقة انتباهه وملاحظته للرياح والعواصف والاتجاهات وحركات القمر والنجوم وأوقات السنة ، والخلجان ، والشواطىء ، والجزر ، والشعب المرجانية ، والمياه الضحلة ، والهضاب ، والجبال . وكل هذه الامور يجب ان يكون على وعى بها حتى يكون طاقم السفينة فى امان تام فى البحر والبر وحتى يكون فى مأمن من الأخطار . والى جانب هذا يجب الا ينسى مطلقا الصلاة لله ولرسوله ليأمن من الشرور والأخطار . والمعلم ينظر اليه القانون على انه امام . ولا يمكنه اينما كان أن يحصل على اذن بمغادرة السفينة فهكذا القانون وعادات البحر .

ولا يعتمد نجاح الرحلة على الربان فحسب بل ان التوزيع الصحيح للواجبات على كل اعضاء الطاقم يلعب دورا كبيرا الى جانب الصداقة والتفاهم فى العمل بين كل من توزع عليهم واجبات الرحلة . ويتحدث ابو الفضل العلامى مؤلف القرن السادس عشر عن تقسيم الطاقم وواجبات كل فرد من أعضائه فيقول :

« يعتمد عدد الملاحين فى طاقم السفينة على حجمها ففى السفن الكبيرة ينقسم طاقمها الى اثنى عشر قسما :

١ – **ناخدا** او صاحب السفينة .

٢ – **المعلم او الربان** ويجب ان يكون على المام تام بالسفن فى المحيط وبشاطئها اذا كان كبيرا او صغيرا وأن يكون على معرفة بعلم الفلك . وهو الذى يقع على عاتقه قيادة السفينة الى مقصدها وتجنيبها الأخطار .

٣ – **تنديل** وهو كبير الملاحين الذين يسمون بلغة البحر « خلاصى » أو « خاروه » .

٤ – **ناخدا خشب** : وهو الذى يمون الركاب بالخشب والقش للتدفئة ويساعد فى شحن وانزال ما بالسفينة .

٥ ـ **سرهنك** : وهو الذى يتولى عملية ارساء السفينة وعادة ما يخلف المعلم .

٦ ـ **بهنداري** : وهو الذى يتولى حفظ وخزن الطعام والمأكولات .

٧ ـ **كراني** : وهو الكاتب الذى يتولى تسجيل المكاتبات على السفينة ويوفر الماء للركاب .

٨ ـ **سكان گير** : أو ما سك الدفة . وهو الذى يوجه السفينة حسب اشارة المعلم . وهناك سفن لها كثير من ماسكي الدفة لكن لا يزيد عددهم على عشرين .

٩ ـ **بنجري** : وهو الذى يوجد على أعلى الصاري . ويبلغ كل مايراه عن الأراضي والعواصف التى تواجه السفينة .

١٠ ـ **كنمتي** : وهو ينتمي الى فصيلة الخلاصى . ويقوم بعملية ازاحة المياه التى تتسرب الى داخل السفينة عند السير .

١١ ـ **توب آنداز** : أو الصفوف المحاربة . وهؤلاء يتولون رفع الصاري وانزاله . ولدى بعضهم واجبات أخرى كمنع اندفاع المياة الى السفينة ، أو تخليص الهلب .

بيد أن العمل السليم المنظم لطاقم السفينة ، والتعاون السليم لكل أجزاء جهازها الحى يعتمد أولا وأخيرا على كيفية تنظيم الربان وهيمنته على واجبات المرءوسين . والمعلم هو عقل السفينة ، وقلبها المتحرك ، وروح العمل للمشتغلين عليها . وكل هذا كان يضطره أحيانا الى علاقة قاسية مع نفسه ما دامت قوانين البحر قد ألزمته بهذا . وهذه الشروط العالية هى التى يتطلبها ابن ماجد نفسه فى مهنته حيث يقول ما معناه « : تذكر أيها الراغب فى العلم أن الربان يجب أن يكون واسع المعرفة . وأول ما يجب أن يعرفه تغيرات القمر وتقسيم خطوط العرض والطرق والمسافات ، وتحديد ارتفاع النجوم ومعرفة معالم الطريق الى الميناء ، ومعرفة أوقات السنة بتحركات الشمس والقمر والرياح ، وان يعرف الأجهزة المستعملة على ظهر السفينة . ومن الواجب أن يعلم الربان وقت ومكان اشراق مجموعات النجوم وتساوى الليل والنهار ، ومطلع ومغيب النجوم ومحاورها والبعد عن القطب وخط الاستواء .. كل هذا يجب ان يعلمه من يود أن يصبح معلما محنكا ويجب أيضا ان يكون على علم بكل الشواطىء ومراسيها ودلائل الطريق اليها . وكذلك يجب أن يكون على معرفة بترتيب قاع البحر وعمق المياه والتعابين المائية والأسماك والأعشاب وتغييرات الماء والمد والجزر وعلى الربان أيضا أن يحاول اعطاء السفينة اكبر قدر من الاتزان وان يحسن تموينها واختيار طاقمها والا يحمل السفينة اكثر من طاقتها ، وأن يمنع قبول أى زيادة فى عدد الركاب . وعليه أن يتأكد من أن السفينة قد أخذت ما تحتاج اليه من المؤن وانها تبحر فى الطريق الذى تهب عليه الرياح الموسمية . وعليه أن يتجنب الأخطار التى يمكن أن تواجه السفينة التى اؤتمن عليها .

وعلى المعلم ان يصبر على التعب وان يقدر على التمييز بين الواجب والتسرع الأهوج ، ويجب أن يكون متقفا ، وعلى معرفة بأشياء كثيرة ، حاسما ، سديد الرأى ، وأن يكون حسن القول ، وعادلا وألا يسبب ضررا لأى فرد ممن يطيعون رئيسهم ويؤمنون بالله العظيم . وعليه الا يعتدى على حقوق التجار ما عدا الظروف التى يكون فيها مضطرا الى ذلك أو فى الظروف التى تدخل ضمن القواعد المعترف بها . ولا بد ان يكون بالغ الصبر ، كريم الخلق ، متمسكا بكل ما هو مفيد للجماعة بغض النظر عما لا يصح أن يفعله ، ولا بد ان يكون ذا تربية حسنة وروح طيبة . فاذا كان عكس ذلك فمن المستحيل أن يكون مثالا للمعلم واذا توافرت فى نفسه كل هذه الصفات فلا بد أن يبدأ بدراسة الدورات القمرية . فكل نجمة منها لها اسم خاص ودراسة جميع أسمائها هى البداية الحسنة .

وكان ابن ماجد يتبع هذه المبادىء والتعاليم بحرفيتها وقد رسمها لنفسه بدون تبعية للأحكام الرسمية . وبالنسبة لمن توصل الى كل أسرار مهنته وعاش معها عشرات السنين ووضع نفسه فى مواجهة الصعاب والتغلب عليها ، فان من الجائز أن يصبح كل هذا مادة للفخر بهذه المهنة . وان المعلومات الخاصة لابن ماجد كانت كبيرة جدا . فلقد عرف بتعمق كل أحواض المحيط الهندى من البحر الأحمر حيث تخصص والده واحواض الخليج الفارسى حيث نشأ ابن ماجد وترعرع على شواطئه وكذلك أحواض شرق افريقيا وجزر الملايو وجنوب الصين ، وان تجربته الفنية بقيادة السفن أعطته

شهرة واسعة في الشرق . وان ما كان يتناقل شفاها من جيل الى جيل فى صورة أقاصيص بحرية احتفظ له بالقاب « أسد البحر » ، وشاعر « القبلتين » مكة والقدس . وان اللقب الأخير أكثر قوة . واننا لا نجد فى مؤلفات الملاح العربى عمق الفكرة ولا جمال التركيب . فلغة هذه المؤلفات جافة غير مشذبة وهى اما زائدة فى الاطناب أو بالغة فى الاختصار . فهو يهتم بالناحية العملية ولم يكن يهتم بجمال التعبير ولكن ما كان يعنيه دائما هو ضبط الفكرة ووضوحها . وهذا يعنى انه كان ينظر الى اللغة لا كهدف انما كوسيلة لتوضيح الامور العلمية ، ولم يكن ابن ماجد شاعرا فى يوم من الايام ويبدو أنه كان يبتعد عن الشهرة الزائدة التى اطلقها عليه المعجبون به ، وهو يلقب نفسه بتواضع « أسد البحر الرابع » واحيانا « رابع الثلاث » ويقصد بهم الليث بن كهلان ومحمد ابن شظن وسهل بن أبان . وهؤلاء لم يعرفوا الا عن طريقه . وكانوا من الملاحين العرب المشهورين فى القرن ١٢ ولهذا يعتبرون سابقين له فى هذه المهنة .

ولم يستطع ابن ماجد أن ينكر انهم من الملاحين الذين كانوا يبحرون قرب الشاطئ، وانهم سابقوه القدامى فى المهنة . وقد أبحر عشرات السنين فى كل المحيط الهندى وذهب الى آفاق بعيدة واستطاع أن يسمى نفسه « بليث البحر » دون أى تأنيب من ضميره .

محمد منير مرسى

إليهم ...

للشاعر عبد الرحمن شاكر

اليهم أقول .. الى العارفين .. الى من لديهم يروج الكلم
الى من أفاقوا .. ونام الزمان .. فلما أفاق .. تعدى الحرم
الى من تلظوا .. لهيب الجنان .. وذوب الفؤاد .. صديدا ودم
ليعلو الكلام .. ويبدو سناه .. يبدد من غاشيات الظلم
بأن الأسير .. حبيس اللسان .. تأبى عليه انسياب النغم
وما كل عادية كالهوان .. ولا شيء أشقى من المتهم
وقد يخطئ القوم فى الفادحات .. ولكن أخطاءهم لا تذم
وأخطاؤنا تشتهيها الذئاب .. لتنهش لحم الأبى الأشم
فلا ندما أن ركبنا الكلام بحرا يموج وسيلا يطم
فللقادرين .. سفور الضياء .. وللعاجزين .. خفاء الوخم
وهيهات للرأى أن يستقاد الى تهتهات العيى الأصم
ولو ملكوه .. وما ملكوه .. فناصية الحق أعلى القمم
سنطوى الضلوع على المحنقات .. ونغرى النفوس بمضغ الألم
ولكن يوما .. عظيم الدوى .. سيشفى المغيظ .. اذا ما سلم

حول الأدب النسائي

بقلم : نجلاء حامد

اضطلعت كاتبات القصة المصريات بدور كبير فى الحركة القصصية فى مصر فى السنين الاخيرة .. وبعد أن كان دور المراة المصرية فى الادب عموما يكاد ينحصر فى الشعر وكتابه الابحاث الجامعية ، اصبحت تتجه لكتابة القصة وصار لها انتاج ملحوظ يحظى باهتمام القراء والنقاد كعمل جاد .. ولهذا الاتجاه فى نظرى ما يبرره اذا نظرنا اليه على ضوء حركة المجتمع كله ودورانه الى الامام .. فلقد تلازمت فى العصور الحديثة الدعوة المنادية لتحرير المستقبل والدعوة المنادية لتحرير المراة ، حتى لكان هناك ارتباطا ما بين هاتين الدعوتين .. ويفسر الامر احد الفلاسفة الاجتماعيين فيقول **« اذا عانى المجتمع من ضغط ما فان المراة هى التى تتحمل القدر الاكبر من هذا الضغط »**

ولذلك فما ان نهضت المراة لتطالب بالتخفيف من هذا الضغط الواقع عليها من جانب المجتمع كله ومن جانب الرجل بدافع من الوعى الثقافى والنضج النفسى الذى تحقق لها اخيرا حتى انطلقت شجونها الكامنة فى اعماقها منذ زمان بعيد فى صور ادب واع يتجه الى التعبير الروائى لكى تنفس عن تلك الافكار والاحداث الكبيرة التى ظلت حبيسة سنين طويلة فى وجدانها .

ولقد لفت اتجاه المراة الروائى والقصصى الانظار وصار يحلو للبعض أن يطلق على اعمالها القصصية اسم الادب النسائى !! ولعل السبب الذى دفعهم الى اطلاق هذه التسمية هو ما لاحظوه من احتفال معظم كاتبات القصة بالمراة نفسها : بعذابها ومعاناتها للكبت والقهر الطويل من جانب الرجل الذى تسانده فى ذلك تقاليد المجتمع وعاداته .. وقل ان تجد الى جانب ذلك الموضوع موضوعا آخر تحفل به اية كاتبة سوى موضوع نضال الشعب فى الحركة الوطنية فى مصر .. ولكن ذلك لا يدعونا بحال من الاحوال ان نلصق بانتاج المراة الادبى صفة النسائية وكأنه صنف وحده لاينتمى الى الادب بمعناه الفنى والانسانى الواسع .. فالكثيرون من الكتاب الرجال ذوى النزعة الانسانية الواضحة من أمثال ابسن وشو ولوركا قد تناولوا فى قصصهم ومسرحياتهم مشكلة وضع النساء فى مجتمعاتهم ومع ذلك لم نطلق على ماكتبوه اسم الادب النسائى ..

والحق ان التناقضات التى تعانى منها المراه والتى تعكس فى الحقيقة خط سير المجتمع الى الامام او الى الخلف تعتبر مصدرا خصبا يستمد منها كل ذى موهبة ادبية الالهام والوحى .. فليس بغريب بعد ذلك أن تستمد المراه وحيها من حياتها وأن يكون الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله معظم قصص الكاتبات هو موضوع حرية المراة كانسان بمعناها الواسع وليس فقط مايتبادر الى الذهن من أن هذه الحرية هى حريتها السياسية وحقها فى الانتخاب والترشيح تلك الحرية التى كفلها لها الدستور

ولقد شكل هذا التشابه فى الموضوعات الى حد

ما سمات عامة لهذه القصص مما يجعلنا نجزم بأن هناك احساسا واحدا لدى كل الكاتبات ينعكس على اسلوبهن فى الكتابة .. فالكاتبات المثقفات قد زادت ثقافتهن ووعيهن من احساسهن بضخامه مشكلة وضع المراة فى المجتمعات الشرقية من حيث عدم تمتعها بالمساواة الحقيقية بالرجل وحرمانها من حريتها الاجتماعية تحت ضغط التقاليد والعادات والمواضعات الاجتماعية والافكار السائدة .

فما هى هذه السمات البارزة التى تميز قصص الكاتبات من النساء بوجه عام ؟

الحق انى ساعتمد فى سرد ملاحظاتى على قصتى **(الباب المفتوح)** للدكتورة لطيفة الزيات **(ومنزل الطالبات)** للسيدة فوزية حمدان وهما فى رأيى نموذج ناضج لانتاج المراة القصصى فى مصر

واول ما نخرج به من ملاحظات بعد تأملنا لهاتين القصتين هو شيوع النظرة الايجابية البناءة فيهما..

فالفتاة الشرقية التى خاضت تجربة المساواة بالشاب فى الدراسة الجامعية وفى العمل ، ثم اصطدمت فى حياتها الواقعية بالحواجز الصارمة التى يقيمها المجتمع فى الحقيقة بين الرجل والمراة .. هذا الاصطدام بالواقع دفعها الى شيئين : الحزن والايجابية وهما علة مانحسه من شيوع هذا الشحن الرقيق والأسى الرمادى الشفاف الذى يغلف انتاج المراة القصصى .. ولكن هذا الحزن فى حقيقته حزن ايجابى يدفعها الى رفض هذه القيود الضيقة التى يطلب منها ان تضع نفسها فى حدودها وهاهو مثال من قصة (منزل الطالبات) للسيدة فوزية حمدان..

« واحسست انك تسلبنى الكثير ، تطلب منى ان اكون مجرد انثى ... انثى حيوان ثائر .. تريد ان انسى كل شىء ، ولا التقى بك الا فى هذا الحيز الصغير ... واحسست بمئات الاذرع تبعدنى عنك ومسافة عميقة تفرق بينى وبينك والا فما كانت نبضات التمرد منذ البداية ولم عرضت نفسى للألم والمقاومة ولم انتظر مثل امى ؟ »

وفى رواية الدكتورة لطيفه الزيات (الباب المفتوح) تعبر الكاتبة عن موقف البطلة الايجابى من حبيبها الخائن بعبارات يختلط فيها الحزن والاسى والحزم «ولم تستطع هى أن تفهم ابدا كيف يتأتى له ان يحبها؟ كيف يستطيع ان يحب امراة بروحه واخرى بجسده ؟ والاخرى - الم يخطر له ابدا انها انسانه بدورها وانه قد ظلمها فى جسدها وفى عواطفها وانسانيتها ابدا . . » وقد تضطر هذه الصدمة التى تتلقاها الفتاة الشرقية الكاتبه فى بعض الاحيان الى التضحية بالاعتبارات الفنية فى كتابة القصة اذ تتخلى عن الحياد والموضوعية التى ينبغى ان يتصف بهما الكاتب وتلجأ الى التدخل فى موضوعاتها واطلاق العبارات الصارخة على لسان بطلاتها لاحساسها أن مشاكلهن ليست ببعيدة عن مشاكل حياتها الخاصة فى الواقع ..

فيقترب الحوار احيانا من الخطابة والوصف من التقرير.. وتتدخل الكاتبة بالشرح والتفسير لظاهر الحياة فى مجتمعها بتقاليده وعاداته التى ترهق المراه وتهدر انسانيتها ..

ففى قصة (الباب المفتوح) تتدخل الكاتبة شارحة الاسباب والظروف التى تعوق زواج البطلة من خطيبها الاول بلسانها هى : « لا .. لم يكن من السهل اقناع عصام .. لم يستطع ان يفهم أن كل عائلة تضع لابنها او ابنتها خطة مرسومة من يوم ان يولد او تولد وعلى الانسان ان ينفذ هذه الخطة ، فاذا فعل فاز بحب عائلته وبرضائها عنه ، وان لم يفعل - اى خرج عن الخطه المرسومة وعلى الاصول - ضربوه كما ضربها ابوها حين خرجت فى المظاهرة وحرموه من حبهم كما حرم ابوها محمود من حبه حين سافر الى جبهة القتال .. او حتى قتلوه كما قتلوا صفاء » وكثيرا ما نصطدم بمثل هذه العبارة على صفحات القصتين وهى تعبر فى نفس الوقت عن راى الكاتبتين « مجتمعنا يمزقه اختلاف الآراء والعقائد » ، « راعنى الظلم الذى وقع على المراة وموقف الرجل المتردد» .. ، « هذا هو وضع البنت الذى تعيش فيه ويجب ان تقبل هذه الحقيقة او تموت » .

ولما كانت المراة لا تستطيع ان تعبر دائما عن كل ما تحس به لأن المجتمع ينكر عليها ذلك من ناحية

ولان ذكر التفاصيل الكثيرة عن واقع حياتها التى تجسم ماساتها فى تراكمها من ناحية اخرى يعتبر معوقا لها عن رسم صورة عامة لحياتها .. ولذلك تلجا الكاتبات الى الرمز .. واستخدام الرمز قد ساعد الكاتبات على اطلاق خيالهن بالنسبة للمستقبل الذى ترى المراة تعلق عليه الكثير من الآمال ولذلك كان استخدام الرمز هو فى رايى اهم ما يميز هاتين القصتين ..

والرموز دائما بسيطة وواضحة ومستمدة من واقع حياة المراة ، فالدكتوره لطيفه الزيات حينما تتصور بابا مفتوحا فانها ترمز بذلك الى انطلاق شخصية بطلتها من خلال خوضها لمعركتها مع نفسها اولا ثم معركتها الى جانب شعبها ضد العدوان الغاشم على بورسعيد .. وتربط المؤلفة بمهارة فنية عالية بين معركه الشعب الباسلة ضد الاحتلال الانجلو فرنسى وانتصار ليلى نفسها على العقد والرواسب التى تجمعت فى نفسها من آثار الماضى وعاقتها عن أن تكون ايجابية منطلقة بل ان المؤلفة بحذق بارع تخلق شخصية رمزية كاملة هى شخصية المهندس الفدائى (حسين) وفى رايى أن حسين فى قصة الباب المفتوح هو رمز لروح الشعب التى ردت لليلى فى النهاية الثقة بنفسها وبقدرتها .. وكذلك تلجأ السيدة فوزية مهران الى الرمز ايضا .. فكثيرا مانقرا فى قصتها عبارات : الابواب المفتوحة ، الآفاق الواسعة الممتدة ، والسماوات الصافية العريضة والبوابة السوداء التى تحجز البنات عن العالم الخارجى داخل عالم الحريم ..

وقول بطلة القصة آمال عن نفسها انها تخشى الزحام دائما انما يرمز الى خوف الفتاه المصرية من النزول الى زحام الحياة نفسها ...

ولا شك ان لاعتماد المراة على خيالها هى فى تصورها للأشياء الى حد كبير وذلك لعدم اتاحة فرصة الاحتكاك بالحياة فى حرية اغلب الأحيان قد اثر تأثيرا بالغا على اسلوب الكاتبات البلاغى اذ جعلهن يلجأن بكثرة الى الاستعارات والكنايات والتشبيهات التى هى فى معظمها رمزية مستمدة من خيال الكاتبة وثقافتها أولا ومن واقع حياتها ثانيا ..

ويتميز اسلوب من قرات لهن من الكاتبات **بهذا الشذى الرقيق الناعم الذى يستمد تأثيره من الشحنات العاطفية المحملة بها الكلمات لا من عمق الموضوعات**

وهى حينما تعجز عن وصف العلاقة بين الاشياء او عن وصف الاشياء ذاتها بسبب عدم احتكاكها المباشر بالحياة تلجا الى التعبير عنها من خلال رايها فيها باسلوب تمنحه هى بنفسها الوانه وخطوطه وهى تلجا الى التشبيه بالأشياء التى تقع تحت يدها مباشرة .. وها هو مثال من الباب المفتوح ..

« وجلس حسين على المقعد وهو يحاول ان يجد شيئا يشبه به ليلى .. من الزجاج .. من الكريستال .. نعم من الكريستال .. جميل ومن السهل تحطيمه .. والكريستال سلبى ايضا مثلها يعكس الضوء ولا يشعه ، تضعه فى النور فيتالق .. وتضعه فى الظلام فلا يشع نورا .. نعم النور ليس فى قلبها ولكنه فى الخارج ولذلك استطاع عصام ان يسحقها .. »

والحق ان دراسة هذه القصص تلقى الضوء على الدور الطليعى الذى اصبحت المراة المصرية تضطلع به فى الأدب وفى الحياة عموما ، مما جعل انتاجها الأدبى يتجه بطبيعة الحال اتجاها هادفا .. فلقد كان كل ما قراته من قصص كتبت باقلام النساء قصصا هادفا .. ولست ادرى هل كان هذا هو السبب فى اصابته فى بعض المواضع بتلك الآفة التى كثيرا ما تمس الأعمال الأدبية الهادفة ذات المضامين الاجتماعية الا وهى التقريرية والخطابية .. فالفنان حينما يفيض به الحماس ويعجز عن ان يجد له تصريفا وتنظيما فنيا دقيقا ينطلق هذا الحماس من نفسه على الورق ويصعب عليه التحكم فيه .. ولكننا مع ذلك نستطيع ان نقول ان ما يسمونه بالأدب النسائى هو فى حقيقته ادب انسانى هادف ..

« نجلاء حامد »

شوق إلى مصر

للشاعر اللبناني سليم عبدالغني الرافعي

ليتها تشتفى بطعم الفراق — فى فم الارز ، عبقرى المذاق !
مضغة بين شجوها واساها — اركبتها النوى عسير المراقى
زعمت انها الى الارز تصبو — فاذا الارز خائب الترياق ؟
ملهم غير انه شح بالوحى — فشد اصطفاقه بالوثاق
ايها الفجر ! فجر مصر المندى — بعبير الشباب والاشواق
ايها الموكب المخلد فى الضوء — وفى القلب والضلوع الرقاق
يا شعاع الابداع ! والسر يسرى — منك فى شاطىء وفى آفاق
عبق الكون من عطائك والرو — ح اذا جال جولة الخلاق !
سلمت منك كل قطرة طل — حملتها الزهور فى الاعناق
قطرة جنب قطرة فى وفاء — واخاء والفة وائتلاق
سمع النيل وقعها فشجاه — وهو يهوى بموجه الرقراق
علم النيل انه شاعر الدهر — اذا ما انتشى بجرعة ساق !
يقلما النيل للهوى وهو رب — فوق عرش الأضواء والاشراق !

لمن الدهر ايها النيل ؟ لولا — انه فى صدى خطاك البواقى
لمن الحب والخلود اذا لم — تجر يانيل جرية السباق ؟
معقل انت للدهور وقلب — يسع الكون بالهوى والتلاقى
ان تقم قامت المشارق يانيل — واعظم بقومة العملاق !
فى طريق الهداة سار رجال — منك يدعون امة للوفاق

ذاك صوت الخلود اعلى واسمى — فى ضمير الاجيال ـ صوت العناق
قبلة فى ضميرك الحى يانيل — تدوى فى عالم العشاق !

شعر الراعي النميري وأخباره

بقلم مجيد ابراهيم دمعة ..

هذا هو اسم الكتاب الذي جمعه وحققه الدكتور **ناصر الحساني** أستاذ النقد الادبي بكلية الآداب ببغداد سابقا وسفير الجمهورية العراقية بواشنطن في الوقت الحاضر .

ويقع الكتاب المذكور في (١٩٢) صفحة من القطع المتوسط عدا الصفحات المعدة للفهارس والتصويبات والاستدراكات . وفضلا عن الجهود المبذولة من قبل الحساني بتحقيق هذا الكتاب وجمعه فان الاستاذ عز الدين التنوخي قد اسهم بالمعاونة على مراجعته وجمع شواهده ووضع فهارسه ، وان المجمع العلمي العربي بدمشق قد قام بطبعه سنة ١٩٦٤ .

تناول الدكتور الحساني - بمقدمة هذا الكتاب - أخبار الشاعر الراعي النميري كما وعتها كتب اللغة والمعاجم وروتها كتب الأدب والتراجم ، وناقشها باسلوب علمي متين تميز بدقة البحث واصول الدراسات العلمية الحديثة حيث اسند كل خبر يتصل بالشاعر الى مظانه وأرجع كل رواية الى اصولها وقابل بين هذه الأخبار والروايات - كما جاءت بمختلف المصادر والكتب - ليقف على اكثرها صحة واقربها الى الثبوت والتأكيد . وحسب القارىء دليلا على هذا المنهج العلمي الرصين ما يراه من الشروح والتعليقات والمناقشات الطريفة ومقابلة الروايات المختلفة بعضها ببعض في هوامش صفحات المقدمة كافة مع الاشارة الى صفحة المصدر والجزء الذى ذكر فيه الخبر او الرواية .

والمؤلف المذكور - عدا ما تضمنه من الدقة في البحث والاستقصاء - امتاز بطريقة العرض ومتانة الاسلوب وبساطة اللغة التي ظل المؤلف يستخدمها في سرد أخبار الشاعر ونشأته العامة ليصور الينا كل جانب من جوانب حياته باسلوب ممتع ومنهج قصصي طريف يعكس لنا خصائص شخصية الراعي وقابليته الشعرية ومكانته الاجتماعية بين قومه ، ومقامه الأدبي بين شعراء عصره ، وتأثر شخصيته العامة بطبيعة حياة العرب الاجتماعية في ذلك العصر وما يدور في حياتهم اليومية ، فوصف لنا مساجلات العرب الشعرية والنشاط الأدبي الدائر في منتدياتهم واسواقهم الشعرية في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، وطابع ذلك العصر وما تميز به من العصبيات القبلية وتفاخر الناس بالاحساب والانساب ، واندماج الراعي في هذا الوسط الاجتماعي والأدبي الصاخب ، وانحيازه الى كتلة الفرزدق وتفضيل شعره على شعر جرير ، وهذا هو الذى حدا بجرير أن يهجر الراعي بقصيدته المعروفة التي مطلعها :

اقلي اللوم عاذل والعتابا
وقولي ان أصبت لقد أصابا

وأن تكون هذه الحادثة حاسمة فى حياة الراعى وخمول ذكره وانحسار جاهه .

أما الجانب الفنى بشعر الراعى ونواحى الابداع فيه (كانفراده بفن البديع مثلا) واكبار المؤلفين والأدباء لقابليته الشعرية كياقوت الحموى بكتابه (معجم البلدان) وابن قتيبة فى (كتاب المعانى الكبير) والجاحظ بكتابه (البيان والتبيين) وابن رشيق فى « العمدة » واحتجاج بعض الشعراء بشعره كذى الرمة الذى . انقطع اليه واتخذه دليلا وجعله اماما ، وصار راوية له ، فهى صورة أخرى لمقدار ما بذل فى هذا الكتاب من الجهد العلمى والتحقيق الدقيق .

ومادمنا نتحدث عن الجانب الفنى بشعر الراعى فلا بد لنا من أن نشير الى عنايته بالطبيعة ووصف ما فيها من الطيور والمخلوقات الأخرى التى يبدو لنا فيها أن الراعى قد فاق شعراء عصره فى هذا الباب لأن قليلا من الشعراء القدامى من عنوا بوصف غير الحيوانات التى كانت شائعة بشعر الجاهليين كوصف بقر الوحش والظباء مثلا ، ومكانتها فى شعرهم للمقارنة والتشبيه ، غير ان فى شعر الراعى ما يدل على التفاته الى وصف الطيور واعجابه بها « فتهيأت له بذلك صور حية بوصف « البازى » و « القطا » و « الحبارى » و « العصفور » .

وهناك ظاهرة اخرى تسترعى الانتباه ايضا فى هذا الذى تهيأ للدكتور الحسانى ـ محقق شعر الراعى ـ وهى ندرة ما يخص وصف الابل فى هذا الكتاب ، مع العلم بأن الراعى قد عرف ابتداء أو بالأحرى لقب بالراعى لكثرة وصفه الابل فى شعره ، ولعل هذا الجزء من شعره سيتهيأ له أن يظهر الى الوجود فيما بعد لكى نقف بوساطته على ما برز وصف النميرى (براعى الابل)

اما ملحمة الراعى المثبتة على ص ١٢٤ وما جاء فيها من مناقشات طريفة وتحقيق ممتع ومقابلة بين الروايات المختلفة ، ومن ثم الحكم على قيمتها الفنية ومكانتها فى الأدب العربى ، فهى نموذج آخر من نماذج البحث الرصين وجهد لا تتسع لاستيعابه لاستيعابه الا صدور من تهيأت لهم أسباب البحث والعناية بالاستقصاء والتتبع .

وقد بوب الكتاب المذكور تبويبا جميلا ، ورتبت قصائده حسب الحروف الهجائية ، وشكلت ابيات الشعر فيه بالحركات ، وشرح بعض ماغمض فيها من التعابير والكلمات وأسماء الامكنة والمحلات ليسهل بذلك على القارىء لذة الاستمتاع بما أدرج فيه من القصائد والمقطعات الشعرية .

والكتاب بجملته يدل دلالة واضحة على صبر نادر وجهد مشكور قلمانجدهما فى كثير من المؤلفات التى تغمر أسواق الكتب والمكتبات العربية فى وقتنا الحاضر ، ونحن اذ نقدر جهد المؤلف والمراجع فى اخراج هذا الكتاب ، نأمل أن يظل الدكتور الحسانى يتابع هذا السعى العلمى وهذا الجهد المشكور ليكون بذلك قدوة يحتذيه شبابنا المثقفون ثقافة عصرية لتزويد واثراء مكتبتنا العربية بما يماثل هذا الكتاب القيم وهذا الانتاج النفيس .

« واشنطن ـ امريكا ـ مجيد ابراهيم دمعة »

يا أبني العرب

سددوا من خطاكم

للشاعر محمد هارون الحلو

اى يوم على الزمان مجيـــــد ... نحن منك على طـريق الخلود
فيه نبنى لأمة العرب مجـــدا ... هو أسمى من كل صرح مشـيد
امة العـرب زادها الله عـــزا ... أبد الدهر دائمـــا فى صـعود
قد وعى الدهر ما وعى من ذراها ... وهى تومى الى الغـــد المنشود
يا بنى العرب : سددوا من خطاكم ... ما التقيتم على كريم العهـــود
هى دعوى محمــــد ، وهــداه ... والنبيين قبل نوح ، وهـــود
اشرقت فى الزمان وهى ضـــياء ... وسنا كل مطمح فى الوجـــود
شـأوها فوق كل شــأو رفيـع ... وهى توحى بكل معنى شـرود
علم الله أنهم قـــــد أقامـــوا ... منه بالامس كل صرح مشـيد
واسـتدار الزمان يكتب أمجـــا ... دا لأبنـــاء يعرب من جـديد
كم ترى للسلام غصـــنا نديا ... حف منـــا بزنبق ، وورود
قد تخذناه للبرايا شـــعارا ... وهى منه على طريق ســديد
ورفعنا به المنارات للمجـــد ... لنهـدى سبيلهم للصـــعود
لنرد الذئاب عن وثبــــات ... وهى تعوى بكل شـــاة ولود
نحن نبنى من العدالة حصـــنا ... حيث يأوى اليه كل شـــريد
لنفك الأغـــلال دون رقـاب ... يزدهيها الغداة شارة صـيد
ثورة العـــرب قدست كل حر ... غير حر يعيش عيش العبيـــد
كم ترى هـــواه جمع النقـــود ... المال دون بذل ، وجـــود
وفقير به ضراعـــــة بؤس ... ما له فى الورى مشـــاشة عود
منزل الوحى فى رباها ظليل ... فهى قط لم تكن لليهـــود
ليس يحيـــا بأرضنا غير حر ... من بنى يعرب الكماة الصيد
قل لمن بات يســـتجيش هواها ... من بنيها ، وهم ليوث البيد
ان يوم النضال آت قريب ... فأعــدوا له دروع الحـديد
سـيكون الصيال صيحة عاد ... ويكون البـلاء يوم ثمود
ان يقيمـــوا على بلاء شـــديد ... أو يقروا على مهاد وطيـــد
سوف يغدوا النزال عبر السدود ... ويكون القتال خلف الحـدود
فلهم يومهم ولن يخلفوه ... ولهـم موعــد برجع البريد
سوف نطوى مرابض الغاب طيا ... ثم تغـدو بهـــا لنصر مجيد

محمد هارون الحلو

حول مؤتمر عدم الانحياز

للشاعر : أحمد عثمان المراغى

تاوبنى والشرق بالمجد يطرب ... وميض جميل للنفوس محبب
وميض كاحلام الرؤى كلما نبا ... بى الهم وافى بالبشائر يقرب
سرى والورى من دعوة الحرب ذاهل ... ينادى اما للناس فى الشرق مهرب
اما فى كتاب المسلمين نصيحة ... الى الغرب حيث الحرب للغرب مذهب
اما فى اناجيل النصارى وصية ... بان بنى الانسان يجمعهم اب
اما فى بلاد العرب صوت ومنبر ... يجلجل هيابا الى السلم يخطب
اما فى ربوع الشرق للخلق منصف ... من الظلم حيث الظلم كم بات يرعب
الا ايها الطيف المعاتب اننا ... اذا اسود ناب الدهر لانتهيب
تثور بلاد الوحى فى كل ومضة ... على كل معتوه عنيد يخرب
فلا عجب ان نردع الطيش بالهدى ... وان نحفظ الانسان ممن تذابوا
ولم يثننا عن نصرة الحق مفلس ... من الحق حيث الزيف فى الناس معجب
الم تغزنا الذؤبان يوما بغدرها ... ولكن سيف الحق بالحق اغلب
ليوث لدى الاهوال من عهد طارق ... الى عهدنا هذا عن الذل ترغب
صدقنا فصار المجد يلهث خلفنا ... وقدنا سفين النصر والموج قلب
لقد جاء نصر الله والفتح وانطوت ... عصابة الاستعمار فى الحجر تندب
فمهلا دعاة الحرب مهلا ووجهوا ... مساعيكم الخير لا تتنكبوا
ولا تضرموا النيران يوما بذركم ... ولا تتركوا الصاروخ للموت يجلب
تعالوا الى الاحسان للعدل للهدى ... الى الامن حيث الامن للناس مارب
تعالوا بنا نبنى الحياة كريمة ... ونمشي بنور الحب لا نتعصب
ففى ظل هذا الحب تسمو مشاعر ... وترقى احاسيس وتندى وتعذب
فكم حطمت اهواؤنا كل مشرق ... وكادت شموس الخير بالحقد تغرب
ولولا رجاء داعب القلب طيفه ... ولولا دعاء فيه لله مطلب
تعالوا دعاة الحرب نستلهم الحجى ... كفانا مضى .. مما به نتعذب !

احمد عثمان المراغى

أدباؤنا بين الرفض والغضب

• أحمد هاشم الشريف •

طفت على العصر الحاضر موجة ، لم تنزلق فى استسلام على نعومة الرمال ، بل امتدت فى جرأة لتعبر عن روح العصر نفسه ..

ورأينا الأدباء فى أغلب أنحاء العالم يتخذون موقفا واحدا بالنسبة لبلادهم ، عندما يرون الواقع متخلفا عن ركب أحلامهم ، موقف الغضب الذى كثيرا ما يصل الى حد السخط وسب اللعنات .. ولم نصادف الا فى القليل النادر أديبا يرضى بالوضع الموجود ، ويبتسم له فى قناعة .. فالغضب والسخط وعدم الرضى صفات مشتركة بين أدباء هذا العصر ..

جان بول سارتر فى فرنسا انتقد موقف حكومته التى يدين لها بالاخلاص والولاء ، ودافع عن قضية الجزائر ، فى الوقت الذى لم يسفر فيه دخان المعركة عن ملامح النصر أو الهزيمة لواحد من الطرفين .

وبوريس باسترناك فى روسيا كتب روايته العظيمة « دكتور زيفاجو » ليكشف عن أخطاء ثورة أكتوبر الاشتراكية ، ويعرض للمواقف المخزية التى تمت خلالها ..

وجون اسبورن أطلق صيحته المشهورة « عليك اللعنة يا انجلترا » ، أطلقها على خشبة مسارح لندن ، وتولى رفيقه المثقف الذكى « **كولن ولسن** » فى رواية « طقوس فى الظلام » كشف فضائح المجتمع الانجليزى وهو يتشقق جداره قبل أن يبدأ فى الانهيار ..

وفى مصر وجدنا **يحيى حقى** يتجه بنقد لاذع ، كلماته تقطر حسرة ، الى أبناء الشعب .. تأمل وصفه للمصريين فى قصته الخالدة « قنديل أم هاشم » كما يراهم بطل الرواية الدكتور اسماعيل وقد عاد من أوروبا ..

« ضربت عليهم المسكنة ، وتقلت بأقدامهم قيود الذل ، ليست هذه كائنات حية تعيش فى عصر تحرك فيه الجماد ، هذه الجموع آثار خاوية محطمة كأعقاب الأعمدة الخربة ، ليس لها ما تفعل الا أن تعثر بها الأقدام ... »

وفى مكان ثان ..

« هؤلاء المصريون جنس سمج ثرثار ، أقرع أمرد ، عار ، حاف ، بوله دم ، وبرازه ديدان ، يتلقى الصفعة على قفاه الطويل بابتسامة ذليلة تطفح على وجهه . ومصر ؟ قطعة « مبرطشة » من الطين ، أسنت فى الصحراء ، تطن عليها أسراب من الذباب والبعوض ويغوص فيها الى قوائمه قطيع من الجاموس نحيل .. »

ولكى تكتمل جوانب الصورة ، اقرأ معى ما قاله يحيى حقى على لسان بطله فى مكان ثالث من نفس القصة ..

« مر أمامه فتاة مزججة الحواجب ، مكحلة العينين ، شدت ملاءتها لتبرز عجيزتها وطرف ثوبها ، وتحجبت ببرقع يكشف عن وجهها . وما معنى هذه القصبة التى تضعها على أنفها ؟ أف ! ما أبشع رياء هذا المنظر وما أقبحه ! سرعان ما بدأ الناس يتحككون بها كأنهم كلاب لم يروا فى حياتهم أنثى ! »

وظاهرة الغضب والنقد الموجع ليست جديدة كما يظن البعض .. فى القرن الماضى أطل علينا « برناردشو » ليؤيد قضية « دنشواى » ويوجه لبلاده أعنف اللوم ، بالرغم من أن الضابطين المقتولين فى هذه الحادثة التاريخية ، كانا من « ايرلندا » ، وطن برناردشو ..

وهتف **تشيكوف** مع **تولستوى** فى صوت خانق .. يا روسيا .. كم أنت بلد أخرق !

فى الوقت الذى كان فيه دستويفسكى يقع

مغضبا عليه .. من رائحة النتن المنتشر فى كل مكان ..

فالغضب صفة مشتركة بين سمات الأدباء فى هذا العصر ، كما كانت فى القرن الماضى .. لكنه ظل غضبا مخلصا نابعا من غيرة الأديب على شعبه وحبه العميق لأرض بلاده وترابها .

وهناك غضب آخر لا يقف عند حد السخط بل يتعداه الى الرفض .. غضب حاقد لا ينبع من فنان اصيل ، يغلق الابواب ويقطع الصلات ويشل التفكير .. وهذا هو غضب الشعوبيين ..

وهو نفس الموقف الذى التزمه شعراء لبنان فى هذه الايام .. وعلى راسهم الشاعر ادونيس ويوسف الخال .. الشاعر ادونيس يحكم بالموت على كل شىء فى ارضنا العربية .. الدين والقومية وكل تراث يؤكد أننا لسنا نبتا شيطانيا أو وجودا عارضا تم بطريق الصدفة ..

ويوسف الخال يهاجم المساعى المبذولة لتحسين القضايا العربية ويرى أنها تعترض النهضة الأدبية ..

والحركة الشعوبية لها جذور قديمة ، بدات فى العصر الجاهلى عندما جاهر النعمان بن المنذر بسيادة العرب وعلو قدرهم امام كسرى ، وتحركت الدماء فى عروقها بعد موقعة « ذى قار » التى انتهت بهزيمة الفرس امام العرب ، وبعد الفتوح الاسلامية امتدت يدها بالخنجر الذى حمله ابو لؤلؤة المجوسى وطعن به عمر بن الخطاب ، ثم تحركت بالفتن من بعده ، وقد كان عصر الأمويين وبالا على هؤلاء الاعاجم الموتورين الذين كانوا يسعون فى الخفاء لاعادة المجوسية بدلا من الاسلام ، والكسروية الساسانية بدلا من حكم العرب ، فلما انتصروا على الأمويين فى موقعة « الزاب » الشهيرة وتوطد الحكم العباسى على ايديهم ، بداوا يعملون على اسقاطه ويناصرون العلويين ، ثم اشاعوا « الزندقة » لهدم الاسلام فى نفوس المسلمين ؛ وليس يهمنا الآن فى قليل او كثير ان نستعرض هذا التاريخ بقدر ما يهمنا التمهيد لفهم أدب الشعوبيين ..

ان بشار بن برد زعيم الشعوبية فى العصر العباسى يبدي عصبيته لقومه واحتقاره للعرب :

هل من رسول مخبر
عنى جميع العرب
من كان حيا منهم
ومن ثوى فى الترب
باننى ذو حسب
عال على ذى الحسب
جدى الذى اسمو به
كسرى ، وساسان أبى
وقيصر خالى اذا
عددت يوما نسبى

وينتقل من الفخر بقومه الى الحط من شأن العرب ..

ولا حدا قط أبى
خلف بعير اجرب

اما « ابو نواس » فلم يقف عند حد الفخر بقوميته الفارسية ..

تراث ابى ساسان كسرى ولم تكن
مواريث ما ابقت تميم ولا بكر

أو وصف العرب القدامى بالغباء لوقوفهم على الاطلال ..

صفة الطلول بلاغة القدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

بل انه كشف عن حقده للعرب ..

عاج الشقى على رسم يسائله
وعجت اسال عن خمارة البلد
يبكى على طلل الماضين من اسد
لا در درك قل لى من بنو اسد ؟
لا جف دمع الذى يبكى على حجر
ولا صفا قلب من يصبو الى وتد

ولم تكن هذه الظاهرة محض صدفة ، بل حركة قوية يشترك فيها ايضا شعراء آخرون مثل الخريمى والمتوكلى وابن الرومى ..

واذا التمسنا العذر لهؤلاء الشعراء الرافضين ، بل ربما اكبرنا اخلاصهم لقوميتهم وعقيدتهم فما هو المبرر الذى يدفع شعراء لبنان اليوم الى « الرفض » ؟

لقد خلط الدكتور النويهى – فى دفاعه عنهم – بين الرفض والغضب، واستدل على ولائهم للعروبة بأنهم مازالوا يكتبون باللغة العربية .. الم يكن شعراء الموالى فى العصر العباسى يكتبون بالعربية ؟ الم يتحدثوا بالعربية ليطعنوا العرب ؟

ولماذا يدافع الدكتور النويهى عن عملاء ثبتت خيانتهم واتصالهم بالسفارات الأجنبية .. وشهد بذلك واحد منهم فى جريدة الحوادث اللبنانية ؟

لماذا يربط بين قضية الشعر الجديد وشعراء لبنان ؟ لماذا ؟

ان «بوريس باسترناك» الذى وجه لبلاده اوجع النقد ، طلب من الحكومة عند ثورة الراى العام ان توقع عليه اى عقاب .. ماعدا النفى من بلاده التى احبها .. طلب من الحكومة الا تحرم رفاته من الاستقرار فى ارض روسيا ، وبين شعبها ..

ودستويفسكى الذى كفر بكل عقيدة دينية من هول ما لاقى من غربة وتشريد .. آمن بالمسيحية لانها – على حد قوله – ديانة الشعب الروسى العظيم ..

ويحيى حقى ، اعترف اكثر من مرة ، انه فى نقده لحال المصريين ، كان يمسك بعصا خيزران ، تلسع لتنبه ، دون ان تصيب مقتلا ..

اما شعراء لبنان فلهم موقف مختلف تماما ، يجهله **الدكتور النويهى** وهو يدافع عنهم ..

موقف الرفض ، لا عن عصبية دينية او قومية كابى نواس وبشار ، بل عن اجر سخى يتقاضونه دون حساب ..

واذا كان الاستاذ **عبده بدوى** قد استطاع ، وهو الشاعر ، أن يبتسم فى وجوههم الحاقدة .. فانى اعترف بعجزى عن مجاراته فى ذلك

ابتسم للغاضبين .. للساخطين .. لأن الحب يجمعنا ..

ولكنى امام الرافضين الحاقدين .. لا املك سوى الاشمئزاز !

« احمد هاشم الشريف »

صلوات

للشاعر عبد القادر حميدة

افتحى يا شمس طاقات الأمانى للغروب
واسكبى الفجر غناء .. فى متاهات الشحوب
وانثرى النجم شعاعا راقصا فوق المغيب
وانهلى العمر من العمر ربيعا .. ثم ذوبى
فى صباحات حبيبى
واماسى حبيبى
يا رعاك الله يا ملء الحنايا : يا حبيبى

***

ليتنى املك عمرى .. كنت اهديه لعمرك
ليتنى .. والآه فى صدرى دعاء ملء صدرك
انا يا اماه لا املك شيئا غير حبك
هو كنزى ونصيبى
وتراتيل الغريب
يا رعاك الله يا ملء الحنايا : ياحبيبى

***

صادح من عزف قيثارك انات الليالى
واناشيد الحيارى حول اعراس المحال
ذلك المشروخ فى صدرك من طول النضال
لا تبالى بالذى ضاع من العمر هباء .. لاتبالى
اشربى الشمس وطيبى
وانشقى فوح الطيوب
و ... رعاك الله يا ملء الحنايا : يا حبيبى

عالم رجل فى محنة

بقلم: محمد عبد الله السمان

كلما تتبعنا سير علماء الدين فى القرون الثلاثة الأولى للاسلام ، صغر لدينا كثير من علماء الدين فى زماننا ، والسبب من الوضوح بحيث لايحتاج اجهاد ذهن ، **فقد** كان علماء الدين السلف ذوى عقيدة مؤمنة خلقت منهم علماء رجالا يتحرون الحق فيما يقولون وفيما يفعلون ، ويتجردون من كل هوى ، ويتسامون عن كل عبث ، لاتغل اعناقهم دنيا احد ، ولايهز ضمائرهم بريق ذهب ، أما الكثيرون من علماء الدين الخلف ، فلن تكون متجنين اذا قلنا : انهم قشور مهزوزة ، لاتنم الا عن سفسطة يحركها هوى ، ويسيل لعابها دنيا اقل الناس شأنا .

وهانحن اولاء مع عالم دين كان اماما علما ، منح ايمانا كان أقوى من كل محنة ، وعقيدة كانت اصلب من كل فتنة ، صغرت الدنيا فى عينيه وحقرت مفاتنها لديه ، فلم ينهزم له ايمان ، ولم تهتز له عقيدة ، ولم يضطرب له ضمير .

انه ابو يعقوب يوسف بن يحيى المصرى البويطى صاحب الامام الشافعى ، وصفيه واثيره عنده ، وخليفته من بعده فى حلقته ، أوصى الامام الشافعى اليه بذلك وهو يقول : **« ليس احد احق بمجلسى من ابى يعقوب ، وليس احد من اصحابى اعلم منه »** .

اما المحنة التى تعرض لها الامام البويطى ، فهى محنة خلق القرآن ، التى أثارها المعتزلة فى السنوات الاواخر من حياة المأمون ، ثم امتدت من بعده الى عصر المعتصم ، فعصر الواثق ، وانتهت بتولى المتوكل أمور الدولة الاسلامية ، **والحق** ان المأمون كان حريصا أن يثير قضية خلق القرآن قضية فكرية تعرض للجدل والمناقشة ، لولا تدخل أحمد بن أبى داؤد بنفوذه مما حول الفكرة الى محنة ، وحمل المأمون على أن يأخذ رعاياه بالعنف ليؤمنوا بمذهب خلق القرآن ، **وقد ظل ابن ابى داؤد** يدير المؤامرات فى عهد المعتصم بعد المأمون ، وفى عهد الواثق بعد ابيه المعتصم بلغت المحنة أوجها ، فعذب من عذب من العلماء ، كأحمد بن حنبل ، ونعيم بن حماد ، ومحمد بن نوح ، واستشهد من استشهد كأحمد بن نصر الخزاعى الذى أثار شجاعته حمية الخليفة الواثق حتى طلب بنفسه أن يضرب عنقه ، اما البويطى ، فقد صدع بالحق ، وابتلى بأقسى مايبتلى به العالم المؤمن الوثيق الصلة بربه ، وزج به فى غياهب السجن فى بغداد حتى لقى الله فى عام ٢٣٢ من الهجرة .

لقد ابدى البويطى فى محنته ما أثار الدهشة ، ولم يستطع الوعد ولا الوعيد ، ولا السجن ولا الحديد ، ولا الوان التعذيب ولا صنوف التنكيل ان تنال من عزيمته أو توهن من ايمانه ، **قال الربيع بن سليمان كما فى وفيات الاعيان :**

« رايت البويطى على بغل فى عنقه غل ، وفى رجليه قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها اربعون رطلا ، وهو يقول : انما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق « بكن » فاذا كانت « كن » مخلوقة ، فكأن مخلوقا خلق مخلوقا ، فوالله لأموتن فى حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون انه مات فى هذا الشأن قوم فى حديدهم ، ولئن ادخلت عليه ـ اى الخليفة الواثق ـ لأصدقنه » .

وجاء فى مفتاح السعادة : لطاش كبرى زادة ان ابن ابى داؤد حين كتب من العراق الى والى مصر ان يمتحن البويطى وامتحنه ، لم يجب ، وكان الوالى حسن الراى فيه ، فقال له : قل فيما بينى وبينك ، قال : انه يقتدى بى مائة الف لايدرون المعنى » .

والعجيب ان البويطى ـ وهو فى سجنه ـ لم يشغله عن الله شاغل ، روى الشيرازى فى « طبقات

الفقهاء » ان البويطى كان اذا سمع المؤذن وهو فى السجن يوم الجمعة اغتسل ، ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن ، فيقول له السجان : اين تريد ؟ فيقول : اجيب داعى الله ، فيقول : ارجع ، عافاك الله ، فيقول ابو يعقوب : اللهم انك تعلم انى قد اجبت داعيك فمنعونى » .

ولم يكن يشغله وهو فى سجنه عن اخوانه ولا عن حلقة العلم وطلابها شاغل ، فقد كتب الى الربيع يقول :

«انه لياتى على اوقات لا احس بالحديد انه على بدنى حتى تمسه يدى ، فاذا قرات كتابى هـذا فاحسن خلقك مع أهل حلقتك ، واستوصى بالغرباء خيرا ، فكثيرا ماكنت اسمع الشافعى رضى الله عنه يتمثل بهذا البيت :

اهين لهم نفسى لأكرمهم بها —

ولن تكرم النفس التى لا تهنيها

ولم يكن يحز فى نفس البويطى — وهو فى سجنه — الحديد الذى أوثقوه به ، الا لانه يحول بينه وبين اداء الفرائض ، قال ابو عمرو المستملى :

«**حضرنا** مجلس محمد بن يحيى الذهلى فقرا علينا كتاب البويطى يقول فيه :

« والذى اسألك ، ان تعرض حالى على اخواننا اهل الحديث ، لعل الله يخلصنى بدعائهم ، فانى فى الحديد ، وقد عجزت عن اداء الفرائض وعن الطهارة وعن الصلاة .. «فضج الناس بالبكاء والدعاء له » .

هكذا عاش الامام ابو يعقوب البويطى فى محنته حتى لقى ربه راضيا عنه ، اما الذى تولى كبر هذه الفتنة ، احمد بن ابى داؤد ، فقد عزل فى أول خلافة المتوكل ، وعين مكانه ابنه محمد قاضيا للقضاة ، ولكنه عزل فى نفس العام ، وكانت نهاية ابن ابى داؤد أن سخط عليه المتوكل بعد ذلك ، وسجنه واستصفى أمواله ، ثم ارسل الى بغداد للاقامة فيها حيث مات بها عام ٢٤٠ هـ .

ماكان اغنى المسلمين عن هذه الفتنة العمياء التى اشعلت نيرانها المعتزلة ، ولو وجدت العقول الرشيدة لما اسودت صفحة من صفحات التاريخ الاسلامى فى ازهى عصوره ، عصر الدولة العباسية ، ورحم الله ذلك الشيخ الذى جىء به ممتحنا فى اواخر ايام الواثق ، حيث واجه ابن ابى داؤد فى مجلس الخليفة بقوله :

«شىء لم يدع اليه رسول الله ولا ابو بكر ولاعمر ولا على ، تدعو انت الناس اليه ؛ ليس يخلو ان تقول : علموه أو جهلوه ، فان قلت : علموه وسكتوا عنه ، وسعنى واياك السكوت ماوسع القوم ، وان قلت جهلوه وعلمته انت ، فيالكع بن لكع ، يجهل النبى صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ، وتعلمه أنت !!

***

ورحم الله العالم الفقيه الامام البويطى الذى امتحن فصبر ، وافتتن فثبت ، وكان ايمانه اقوى من كل محنة وفتنة ، فقد كان كما يقول ابن عبدالبر: من اهل الدين والعلم والفهم والثقة ، صلبا فى السنة فيرد على اهل البدع » وكما يقول الربيع بن سليمان : «مارايت احدا انزع بحجة من كتاب الله تعالى من ابى يعقوب » وكما يقول صاحب مفتاح السعادة : « كان اماما جليلا عابدا زاهدا ، فقيها عظيما مناظرا ، جبلا من جبال العلم » .

لقد صدقت نبوءة الامام الشافعى فيه ، قال الربيع :

كنت عند الشافعى انا والمزنى وابو يعقوب البويطى فنظر الينا وقال لى : انت تموت فى الحديث وقال للمزنى : هذا لو ناظره الشيطان لقطعه او جدله ، وقال للبويطى : انت تموت فى الحديد ، قال : فدخلت على البويطى ايام المحنة فرايته مقيدا الى انصاف ساقية ، مغلولة يداه الى عنقه » .

مات البويطى فى الحديد من اجل مبدئه ، ولكنه ترك اجل ذكرى للعالم الرجل ، وما أقل العلماء الرجال !!

«محمد عبد الله السمان »



كيف دخل الاسـلام الهند ؟

محمد اسماعيل الندوى ..

كانت الهند مرتبطة بالبلاد العربيـة عن طريق التجارة والثقافة ، ومن نتيجة هذا التقارب تجاوب كل منهما من الناحيتين الثقافية والأدبية ، وهذه العلاقات أدت الى أن تتسرب الى اللغة العربية مئات من الكلمات الهندية في شتى المجالات الادبيـة والثقافيـة مثل ، كلمة « الموز » واصلها فى السنسكريتية «موجا» والكافور التى أصلها «كاربوط» والصندل التى أصلها « جندل » والساج والمسك والليمون وما الى ذلك ، كما أدت هذه العلاقات الى ان تتأثر هذه اللغة الهندية الشعبية القديمة وهى : «بالى كرت » (كما سميت فى القرن الثانى قبل الميلاد) بالحروف العربية لأقدم أمة عربية وهى عاد ، كما قال الله تعالى : الم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد » ويدل على ذلك الآثار المنحوتة لتعاليم بوذا على الصخور والأحجار فى عصر أشوك الذى عاش قبل الميـلاد بقرنين .. كان التجار العرب يأتون الى الهنـد ومعهم السلع التجارية عن طريق البحر الى كل من ميناء شمالى الهند وجنوبها ، كان ميناء السـند يعتبر مقصد العرب فى شمال الهند حيث كانوا يبيعون سلعهم التجارية ويحملون منه الى بلادهم انواعا من البضائع مثل الصندل والكافور والقرنفل والنرجيل والقماش .

وفى جنوب الهند كانت مالاباد أشهر ميـناء يأتى اليه العرب من «تفرى» « صحار » و «مسقط» على ساحل عمان بشبه الجزيرة العربيـة وقد زاد اتصالهم بهذا الميناء حين ضاق نشاطهم التجارى فى غرب البحر الأبيض المتوسط الرسيطرة اساطيل الرومانية على موانية ، فاصبح ميـناء « ملابار » خصوصا ميناء – كولم تى – مقصدهم دائما سواء للتجارة مع اهالى هذه المنطقة أو لتزويد سفنهم بالمؤن وذلك لمواصلة رحلاتهم الطويلة الى الصين ، وهذا النشاط التجارى زاد قوة على قوة وازدهر فى العصر الأموى (٦٦٠ – ٧٩٤ م) ازدهارا عظيما لدرجة أن ساحل ملابار أصبح موضعا اقتصاديا هاما بالنسبة للعرب ، اذ انه أصبح وسيلة هامة من اهم الوسائل لتقدم اقتصادهم ، فكان خشب الساج من اهم مواد البناء للعرب الذين كانوا يحملونه دائما الى بلادهم .

وفى هذا العصر زادت رقعة البلاد الاسلامية اتساعا وامتدادا عقب الفتوحات الواسعة الكثيرة التى قام بها ، والانتصارات التى احرزها الأمويون ، وقد دخلت فى حظيرة الاسلام معظم بلاد الشرق مثل خراسان وما وراء النهر حتى تم فتح الاندلس بأيديهم ، ولم يكن هناك مانع بعدئذ ان يزحف الجيش الاسلامى نحو الهنـد التى احتلت مـكانا بارزا فى أدبهم وشعرهم ومغامراتهم واقتصادهم ، ويقال ان الخليفة عثمان بن عفان كان أول من رغب فى الهند وهم فى فتحها ، وأرسل خبيرا للاستطلاع على أبنائهـا ، فسافر الخبير ، ولما عاد قال :

« يا امير المؤمنين ، ماؤها وشل ، وثمرها دقل ، ولصها بطل ، ان كان بها الكثير جاعوا وان كان بها القليل ضاعوا » .

ولكن الخطوة الحقيقية لفتح الهند اتخذت فى عصر الوليد بن عبد الملك ، وهناك خلاف بين المؤرخـين حول العوامل التى مهدت للحجاج بن يوسف الحاكم من قبل الوليـد ابن عبد الملك اتخاذ هذه الخطوة الجريئة الجبارة التى أضافت الى قوة الدولة الاسلامية قوة وشوكة ومجدا .

١ – وقد نفى الحجاج قبيلة بنى هاشم فخرجت هذه القبيلة من العراق واتجهت الى جنوب الهنـد واستوطنت هناك ، فلما بلغ ذلك الحجاج ضاق ذرعا وارسل جيشا كبيرا لفتح هذه المنطقة ، ولكن هذا الرأى بعيد عن الصواب ، وان صح القول أن قبيلة بنى هاشم سكنت فى هـذه المنطقة وسميت فيما بعد « لبى ونوايت » .

٢ – حينما اتجهت سفينة من سفن سيلان حاملة الجاليات العربية الى العراق ، هاجمها فى الطريق القراصنة ، وسلبوا أموالهم ونهبوا أمتعتهم وسبوا نسـاءهم ، ولما بلغ ذلك الحجـاج ثار غضبـا وكتب الى الملك فى السند أن يأخذ على أيدى هؤلاء القراصنة ويعاقبهم ولكن الملك اعتذر بأنه ليس له سلطان على قراصنة البحر ، فأرسل الحجاج جيشا اسلاميا الى الهند بقيادة محمد بن القاسم أعظم من انجبته العرب من القواد فى تاريخها فوصل الى الهند (سنة ٥٩٣) وفتح السند ، وما أن تم فتح ولاية السند حتى استدعى محمد بن القاسم الى دمشق

بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك وقتل فيها ، لأنه يمت بصلة رحم وقرابة الى الحجاج ، والحجاج كان من الد أعداء الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وقد استمرت بعد ذلك وفود الحكام من قبل الخلفاء فى دمشق طوال العصر الأموى ليحكموا الهند ومن قبل الخلفاء فى بغداد فى بداية العصر العباسى ثم ضعفت الخلافة العباسية بعد سيطرة العابثين الاتراك وفقدت قيادتها فى الهند ، وهذا أدى الى نشوب حروب أهلية بين ولاة العرب فى الهند ، فزادت الفتن وأدى ذلك الى فقدان المناطق التى تحت أيديهم واحدة بعد أخرى ووقعت فى أيدى الملوك الهندوكيين المجاورين الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر حتى لم يبق فى أيديهم الا مناطق قليلة ، وهى أيضا انقسمت قسمين : المنصورة ، والملتان ، ففى سنة ٣٠٣ هـ كان يحكم الهند ابو اللباب منبه بن أسد القريشى ــ وهو من قبيلة بنى سامة آخر أسرة عربية حكمت الهند ،وفى هذه الآونة جاء المسعودى الى الهند ، ثم قامت الدعوة الفاطمية فى الهند سنة ٣٧٢ هـ وأنشأ هؤلاء دولتهم حينما تولى الحكم فى مصر العزيز بالله الفاطمى الذى دامت حكومته أكثر من واحد وعشرين عاما من سنة ٣٦٥ ــ ٣٨٦ هـ ، واصبحت الهند آنذاك جزءا من الدولة الفاطمية فى مصر ... وبعد هذا الاستعراض الطويل يحسن بنا أن نلقى نظرة عابرة على الحركة الأدبية والثقافية فى هذا العصر ، فمنذ قيام الدولة الاسلامية فى هذه البقعة الغالية من الهند ، أتيحت للغة العربية فيها فرصة النمو والازدهار ، حتى أصبحت اللغة الرسمية للدولة ، ولذا بادر المسلمون الجدد الى تعلمها بوصفها لغة دينهم وثقافتهم ، فلما شيدت المساجد فى أنحاء هذه المناطق المفتوحة افتتحت فيها مدارس أيضا على منوال المدارس التى فى البلاد العربية والاسلامية ، لأن استقلال المدارس بمبان مستقلة لم تخصص بعد آنذاك حتى فى البلدان العربية ، والآن بدأت وفود علماء العرب تفد الى الهند من جميع أنحاء البلاد العربية يحملون معهم كل النزعات والاتجاهات التى ظهرت وازدهرت فى بلادهم ، مثل مدرسة الحديث ، ومدرسة الفقه والكلام وما الى ذلك ، وفيما يبدو لنا فى ضوء الادلة التاريخية لم يدخل هذه المنطقة الا مذهب أبى حنيفة ومذهب داود بن على الظاهرى .

قال الرحالة الشهير المقدسى الذى زار الهند سنة ٣٧٥ هـ : « ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبى حنيفة رحمه الله ، وليس به مالكية ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة ، انهم على طريقة مستقيمة ومذاهب محمودة وصلاة وعفة ، قد أراحهم الله من الغلو والعصبية ، والهرج والفتنة » ، وقال فى حركة الحديث فى هذه المنطقة : « أكثرهم أهل حديث ، ورأيت القاضى أبا محمد المنصورى داوديا اماما فى مذهبه . وله تدريس ، وتصانيف ، وصنف كتبا عدة .

وقد ظهرت مدرسة الحديث فى هذه المنطقة قبل هذا العالم الجليل بقرن تقريبا ، وكان رائد هذه المدرسة ، أبو موسى اسرائيل بن موسى البصرى الذى استوطن الهند فى منتصف القرن الثانى للهجرة . وقد ترجمه علماء الحديث فى كتبه ووضعه ابن حجر العسقلانى فى تقريب التهذيب فى الطبقة السادسة من المحدثين ، وقال فيه البخارى فى تاريخه الكبير :

اسرائيل أبو موسى . وكان نزل الهند ، ومن أشهر علماء الحديث فى عصره الذين أنجبتهم الهند هم أمثال : أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندى الذى استوطن المدينة واشتهر فى المغازى ، وعبيد الرحيم بن حماد السندى ، تلميذ الأعمش الذى قطن بصرة وسندى تلميذ عطاء بن سيرين الذى نزح الى العراق .

ورغم الفتن والأزمات السياسية ظل أهل هذا البلد متمسكين بالدين عاملين عليه ومخلصين له، وفى ذلك قول المقدسى . ليس عندهم زنا ، ولا شرب خمر ، ومن ظفروا به يفعل ذلك قتلوه ، أو حدوه، ولا يكذبون فى بيع ولا يبخسون فى كيل ولا يخسرون فى وزن ، يحبون الغرباء ، وأكثرهم عرب ، شربهم من نهر غزير ، والخير بها كثير ، والتجارب حسنة، والنعم ظاهرة والسلاطين عادلة ، لاترى فى الأسواق امرأة متجملة ، ولا أحد يحدثها ، ماء مرى وعيش هنى ، وظرف ومروءة وفارسية مفهومة . »

وكذلك ازدهر فى الهند لأول مرة الفن العمرانى للعرب وانشئت المساجد على منوال المساجد فى دمشق والعراق ، وفى قول المقدسى مايؤيد هذا :

« هى قصبة السند ، وعصر الاقليم تكون مثل دمشق ، بناؤهم خشب وطين ، والجامع حجر وآجر، كبير ، مثل : جامع عثمان ، على سوارى ساج ، ولها أربعة أبواب : باب البحر ، باب طوران ، باب سندان ، باب الملتان ، ولهم نهر بالبلد وهم على لباقة ، ولهم مروءة ، وللاسلام عندهم طراوة » .

« محمد اسماعيل الندوى »

على الشاطئ

للشاعر محمد محمود زيتون

صماء صماء .. لا ظل ولا ماء   ولا ألمت بها فى الفجر انداء
شذت عن العالم المانوس وانتفضت   كأنها ظبية فى البيد رعناء
معالم الكون فى ميزانها انطمست   حتى استوى عندها موتى واحياء
والحر والبرد فى احوالها اختصما   وطال بينهما هجر وشحناء
لا الامس يحنو الى الذكرى ولا غدها   مؤمل .. فهى أوصاب وارزاء
ان حالفتها الليالى فهى كافرة   او راودتها الأمانى فهى شلاء
غاضت بشاشتها وانفض سامرها   كأنها فكرة فى العقل شوهاء
للموج من تحتها زاد وزمجرة   والأفق من حولها فوضى وضوضاء
اعيا الشياطين ما تطوى جوانحها   وفى طلاسمها حار الألباء
من قبضة الأزل المجهول معدنها   وحولها ايكة بالغيب لفاء
اضفى عليها الردى ظلا.. فما برحت   يؤوده نصب منها واعياء
قيثارة الدهر ما زالت مواتية   وهى التى مالها فى الدهر اصداء
تمضى الأعاصير عنها غير وانية   وللأعاصير اجواء وانواء
مطية هى والأسفار تدفعها   فما اعتراها مع الأسفار وعثاء
ما شفها الوجد يوما او فضت اربا   ولا استبدت بها دنيا واهواء
ان صفق الموج لم يظفر لها بصدى   او هبت الريح ولت وهى خرساء
زنجية صاغت الأثباج بردتها   شفافة .. فهى سوداء وبيضاء
هام الصبى بها شوقا وراودها   عن نفسها فتأبت وهى شمطاء
وعربد الويل فى احشائها فغدت   يلهو بها الأغبران الهم والداء
ظل الحياة عليها لا وجود له   وما بها من صروف الدهر سيماء
فيها الضحى والدجى سيان من عدم   والأذن والعين صماء وعشواء
والبحر كر وفر حولها ابدا   لكنها فى خضم البحر عزلاء
غنى الربيع لها ، فارتد عامره   قفرا .. وصفحتها كالموت صفراء
ما للنسيم – اذا مارف – سارية   بها .. فهى كالصحراء جرداء
كأن دولة اسرائيل قد ذهبت   اودت بها غارة للعرب شعواء
وذاك منها حطام البغى قد نثرت   على الورى منه اجزاء واشلاء
تجسد الياس فى اضلاعها سقما   وشف عن صمتها المقرور احناء
وبالأساطير من طيات عزلتها   يكاد ينطق الهام وايحاء
تحدو لها – وهى أم الهول – شادية   وليس يحفزها للشدو اصغاء
أسرار مرتادها فى الكهف مرقدها   وهل تطوف ببطن الكهف اضواء
للمكتوين بنار الحب ما زهدوا   على الضنى .. ولأهل الحقد ما شاءوا
مرت عليها ذنوب الناس فانحسرت   عنها .. وللموج ازباد وارغاء
وساومتها العوادى وهى صامدة   فما لوى جيدها مدح واغراء
كأنها فى الضحى والليل راهبة   نأى بها الدير والأيام عذراء
رنت الى شاطئ المصطاف تسأله   مع الخريف : متى يأتى الأحباء ؟

أزمة الشعر الجديد وموقف النقاد

• بقلم عبد الاله عبد الرزاق •

يمر شعرنا الجديد بمرحلة جد دقيقة تتجمع لديها كل اسباب الأزمة لتطبق عليه مستنزفة الحياة من عوده الغض .. ومع هذا فكثير من نقادنا اليوم كلهم ثقة ودعة بما قد آل اليه هذا الشعر ، لانكاد نركن الى ما يكتبون ويعرضون وينقدون من نماذج مختارة منه ـ وهو كثير ولا ريب ـ الا وشعرنا باننا امام حركة شعرية فرضت نفسها بقوة رغم قصر عمرها الذى لم يتعد عقدين من الزمن ، وبالتالى قد بلغت مرحلة من النضج والتكامل مما يثبت .. (بما لا يدع مجالا للشك أن عمود هذا الشعر قد اقيم ليرتفع مكان ذلك المعبد الاثيل الذى انهار بموت شوقى ..) والكلام هنا للدكتور لويس عوض كما ورد فى ملحق الاهرام الصادر فى ٧ من اغسطس ١٩٦٤ ، لكنا لو القينا نظرة فاحصة متتبعين خلالها مراحل تطور هذا الشعر مسجلين له انعطافاته واتجاهاته ، آخذين بناصية ما يورده نقاده ، لخرجنا فى الواقع وملء أيدينا حصيلة من نتيجة لا تشجعنا على الاطمئنان له نظير ما أنبانا عنه بعض نقاده ، وسنجد انفسنا مضطرين الزعم بأن مسيرة هذا الشعر بلغت حدا **جعلت كثيرا** من العيوب والنواقص والثغرات تنداح عليه بوعى منه او دون وعى .. وسنزعم ايضا بأن حالته تلك تشبه ازمة لها جذور ودواع ، وسيكون لها مدى بعيد فى تقرير مصيره ان لم يتدارك نقادنا ذلك ، فيعيدون النظر فى تقييمهم لهذا الشعر على اسس جديدة لا تتدنى حد التطرف فى تأييده والثقة به .

ويحق لنا الآن ان نوضح طبيعة هذه الأزمة التى تتربص بشعر وليد لما يزل يدرج على ارض غير مطمئنة ، موضحين ظواهرها ، عارضين موقف نقادنا منها :

منذ دخل هذا الشعر حياتنا ولم نزل نحن بعيدين عنه ، نختلف اليه فنجد له فى النفوس صدى يختلف حظه فى الوضوح والغموض وهو فى كلتا الحالين يلامس نفوسنا فنعجب به ، لكن اعجابنا لا يتعدى التو واللحظة ونظل بعدها نشعر بغربة منه .. غربة يتخفى ازاءها تراث لم ظل عقودا سحيقة وهو يفرض نفسه رغم ما كان يعتريه من كبوات الا انه كان يعود منتفضا بملء حيويته ونشاطه .. هذا التراث الجم يتخفى ولكنا نحسه فى وعينا وتشتد حاجتنا اليه ـ لا سيما للذين لم يبلغوا من الثقافة مبلغا يؤهلهم لاستيعاب الشعر الجديد حين نظل نلهث خلف نماذج من الشعر الجديد دون أن ندركها .. فليس غريبا بان هذا الشعر غريب علينا ولكن ازاء هذه الظاهرة ما الذى فعله الناقد .. ؟

لا شيء فى الواقع الا دراسات موسعة شاملة تناولت مضمونه واوغلت فى تأويله وتفسيره مستعينة باكثر اسباب النقد الغربى ، أو دراسات اكاديمية باهتة جافة ، تناولت شكله بالتشريح والتمزيق ، فليس ثمة الا تفاعيل وبحور وقواف موضعها ينبغى أن يكون كذا وكذا ..

وكل هذه المحاولات لا تزيد فى الشعر الجديد ثباتا ولا رسوخا ولا تنفحه بروح من حياة، ولاتقربه الى النفوس بسبب الا لماما .. كان ينبغى على النقاد وهم الذين قد اسرفوا بتلك الدراسات اسرافا شديدا ـ ان يقفوا طويلا امام هذا الشعر وفى وعيهم ينبض شيء حى .. شيء بيده وحده مصير هذا الشعر اعنى الجماهير بمستوياتها المتباينة ، فحين يدركون ان الشعر الجديد ليس مضامين واشكالا جميلة تدخل بين دفتى ديوان انيق لتخرج بعدها ثم تدخل فى نفوس صفوة من المثقفين ـ حين يدركون هذه الحقيقة البسيطة يكون فى مقدورهم أن يعيدوا النظر فى كل ما كتبوه من نقد

ودراسة ، وكان اجدر بهم ان يدركوا واقع هذه الحقيقة ، ويسلطوا جهودهم من اجل هدف بسيط لكنه عميق الأثر في بقاء الشعر الجديد ـ اعنى قيامهم بافهام هذا الشعر للقراء وتقريبهم اياه لنفوسهم مستعينين بكل السبل حتى وان تدنت الى مستوى تعليمى بسيط ..

واليوم حين توجه التهم الى الشعر الجديد تبرز من بينها تهمة جديرة بالتامل .. يقال بأن الشعر الجديد غير قابل للحفظ وللاستظهار .. وعلى هذا فقد خرج عن طبيعة الشعر فى الاستشهاد والترديد .ورغم أن كثيرا من الشعراء الجدد ونقادهم قد افاضوا فى الرد على هذه التهمة وكانت اكثر آرائهم صحيحة الى حد ما .. الا ان تلك التهمة ظلت قائمة ولها ما يبررها ...

كان الشعر ـ **وما زال** ـ لدى العرب كالحياة التى تجرى فى كيانهم .. يقوله الغلام ببراعة كما يقوله الشيخ وتردده المرأة كما يردده الرجل .. هى الطبيعة ـ ولا شك ـ التى سكبت نفحات الشعر القضيرة فى نفوس تشبه الأرض التى تسعى عليها .. فى الصحراء حيث العواطف تنحر بحد القيظ والسموم .. حيث المشاعر الرقيقة تتداعى امام القسوة والشدة .. فى الصحراء وحتى فى الحواضر .. عرفت الطبيعة كيف تجعل تلك النفوس الصلبة ، الجلدة مرهفة رقيقة يسيل الشعر دفاقا على السنتها .. خالدا كالشمس فى صحراء لا تعرف غير الشمس والرمال فلا ينبغى ان نعجب من قولة الجاحظ :

.. وللعرب الشعر الذى لم يشاركهم فيه احد من العجم ...)

ولا نعجب من قول « جوستاف لوبون » :

(.. والامة العربية امة شعراء ..)

والتهمةالتى وجهت الىالشعر الجديد كان منطقها من تلك الحقيقة التى افضنا فى ذكرها ، حقيقة ان أمة العرب أمة شعراء يقولونه على السليقة المفطورة فيهم يبرع فيه الأمى جنب الأديب وانى نجد نظير هذا فى شعرنا الجديد الذى لا ينظم فيه الا المثقفون الذين اخذوا من الثقافة الغربية بحظ وفير سواء عن طريق مصادرها الأصلية او الترجمة ، ومع ذلك فنقاد هذا الشعر والمهتمون به لم يلتفتوا الى هذه الناحية فتناولوا الشعر الجديد وكأنه ولد بغتة فى ارض لم تتمخض شعرا ابدا كما انهم لم يحاولوا ان يوضحوا صلة هذا الشعر بماضى الشعر العربى والى اى مدى يلتقى معه . ما هى اوجه التجديد التى اضافها هذا الشعر الجديد اليه .. كل ذلك واكثر كمحاولة جديدة لتفتح الأذهان والقلوب من لدن القراء كافة لهذا الشعر والاقبال عليه .

ظاهرة اخرى ندركها حين نستشف واقع الشعر الحالى ، فى بدء حياته القصيرة اندفع اندفاعا شديدا تبارى فى سوحه الناشئون والمجيدون ولكن العاصفة هدأت الآن وارتفع المجيدون بشعرهم الى أعلى مستوى فى الجودة والاصالة بينما انحسر مد الناشئين وتفرق فرقا .. وظل المجيدون يرتفعون حتى استقروا فى مكان لا يرقى اليه من هم دونهم وظل هؤلاء ـ اعنى المجيدين ـ يلتحفون وهم فى مكانهم ـ الضباب والغموض ـ وهكذا يتراءى للمتأمل للنماذج الجيدة فى شعرهم ـ وهذا مظهر آخر لدى الأزمة التى يمر بها الشعر الجديد حين يجد نفسه بغتة محصورا فى نطاق عدد من المثقفين لا يتجاوز غيرهم الا قليلا . ورغم ان هذه الظاهرة ظاهرة غموض الشعر وانحصاره فى دائرة ضيقة شديدة اللصوق بغربة الشعر التى اشرنا لها بل ان الاثنين فى الواقع كل متكامل .. اقول رغم ذلك فان النقاد لم يفعلوا ازاها الشىء الكثير .. سوى انهم اوغلوا حد الاسراف فى تأمل نتاج هؤلاء الشعراء المجيدين واضفوا ظلالا وابعادا الىمضامينهم **واشتطوا** احيانا فى استنباط الفكرة من خلال الرمز او الاسطورة فاربك بعضهم كثيرا من القراء ، وانا شخصيا ـ كقارىء ـ حين قرات ديوان « احلام الفارس القديم » للشاعر صلاح عبد الصبور خرجت برؤى وافكار كونتها أنا نفسى ورضيت بها ـ ولكنى حينما اختلفت الى نقد د . لويس عوض فى ملحقى الأهرام الصادرين فى ٧ ، ١٤ اغسطس اعترتنى خيبة شديدة فيما كونته من افكار ووجدت نفسى اتداعى وانا فى شك من قدرتى على الفهم والاستيعاب .. وهذا مثل بسيط لموقف بعض نقادنا ازاء هذه الظاهرة . ومن الطريف أن نشير

الى ان بعض شعرائنا الجدد قد ضلوا حتى نقادهم في فهم مضامينهم .. !! ومن يكن في شك مما أقول فليختلف الى مجلة الآداب اللبنانية على سبيل المثال ليلتمس ما ينشر فيها من نقد لقصائد أعيت النقاد كثيرا .

ظاهرة اخرى من ظواهر هذه الأزمة ..

ذكرنا بأن الشعراء الجدد ونقادهم قد اعاروا المضمون ذروة الأهمية .. ورفضوا الاختلاف الى الشكل ولم يروا فيه اعمية تجارى اهمية المضمون على اساس ان الشعر الجديد لم يقم الا بسبب تلك الأشكال المحددة الثابتة التى لا يعتريها التغيير ولا ينفذ اليها التجديد الا لماما فقام ليحطمها ويقيم مقامها عموده الجديد ، لذلك فقد تراكمت لدينا حصيلة هائلة من هذا الشعر يشع المضمون فيها بآلاف الرؤى ويختلج بأعمق المشاعر الانسانية دون التقيد بزخرف لفظ وسحر وقع ، او التمدد داخل اطر ضيقة محدودة تحد انطلاق الشاعر .. وتصد لا وعيه الذى تصدمه من غير شك قيود ذهبية غير قابلة للتمدد ، ومن هنا كانت كل الدراسات النقدية قائمة على أساس تحليل تلك المضامين ومحاولة استشراف رؤى جديدة من خلالها واثرائها بالأبعاد والظلال العميقة وكل هذه الدراسات قيمة تنبع من ثقافة ثرة واطلاع واسع، وهذا لا يمنع من وجود بعض دراسات عقيمة مجدبة والفيصل بين هاتين الدراستين كما اشرت يعود من غير شك الى تفهم عميق لطبيعة الشعر الجديد وطبيعة الأرض التى تحتضنه ، يتأتى هذا الفهم من جدية الدراسة وخصب دلالتها وعمق ثقافتها ، المضمون اذن احيط برعاية شديدة من لدن النقاد ، واعتبروا .. **قصيدة اليوم هى قصيدة المضمون** .. مجلة الكاتب عدد ٢٧ – ١٩٦٣ حتى أنهم غفروا لبعض الشعراء اخطاءهم اللغوية والعروضية وتسامحوا فيها او تحفظ بعضهم فى قبولها وهم فى كلتا الحالين لم يحاولوا أن ينبهوا شعراءهم عليها .. او يرفضوا شعرهم بمقتضاها فظل الشكل متعثرا يتأرجح بين تيارات متنافرة يعانى تمزقا داخليا تزداد حدته يوميا ، شعراء ينظمون وفق طريقة الشعر الجديد وآخرون لا يزالون مستمسكين بعمود الشعر القديم لكن شعرهم لا يقل جودة وطرافة عن اسلافهم ، وآخرون تحللوا نهائيا من كل ما يمت بالشعر من صله فخلعوا ما يسمى بقصيدة النثر .. هى فوضى تسببت من ضياع المصطلحات الفنية وقد أشار الى هذه الظاهرة بوضوح كل من د. القط ، د. رشدى وعبد الصبور فى احدى ندوات البرنامج الثانى باذاعة القاهرة . هذا التمزق يظهر على اشد ما يكون من الوضوح فى حركة ما يسمى بقصيدة النثر التى تبنتها مجلة (شعر) اللبنانية وساهمت فى فرضها بكل الوسائل ، وعلى هذا فقد وجد الشعر الجديد نفسه وقد انعطف انعطافة شديدة وغريبة وبدون وعى منه ، ولا يخفى ما فى ذلك من اساءة بالغة لم تقتصر عليه فحسب انما تحاول أن تجاوزه الى صميم التراث العربى كمحاولة لهدم مقوماته ، ولكن نقادنا كل الذى فعلوه انهم احاطوا شعرهم الجديد بسياج قوى من حمايتهم ورفعوا اصواتهم اول وهلة منزلين اللعنة على اصحاب قصيدة النثر مصورين لهم سوء المصير الذى سيحيق بهم، لكنهم بعد ذلك التحفوا الصمت ازاء دعوتهم بينما اطلقوا لأقلامهم العنان فى درس شعرهم الجديد دون التعرض لما يسمى بقصيدة النثر ، فى الوقت الذى تضخمت هذه الاخيرة واتخذت طورا خطيرا بعد ان كثر اعوانها ومريدوها ، واختلطت فى أذهان القراء مفاهيمها مع مفاهيم الشعر الجديد وسببت ارباكا لها ، واذكر بهذه المناسبة ان الشاعر العراقى جبرا ابراهيم جبرا دعى الى عقد **ندوة حول الشعر الحديث** فى اواخر الشتاء الماضى ببغداد ، وقد استهل الندوة بمحاضرة طويلة، استغرقت اكثر من ساعة ونصف ساعة تحدث فيها عن الشعر الحديث موضحا كيف نشأ وتطور مبينا ميزاته وملامحه وفى الختام تلا نماذج مختارة منه ، فبهت الحاضرون .. كما بهت الشاعر ذاته .. !! لانهم سمعوا كلاما لا هو من الشعر فى شيء ولا من النثر فى شيء .. وكانوا يعتقدون انه هو الشعر الجديد أو الحديث الذى يقرأونه بتفاعيله وقوافيه المنوعة واذا بهم يستمعون خلافه ، وبهت الشاعر لأنه تعجب من أن الحاضرين اعتقدوا خلاف دعواه .. وذلك لأنه كان واثقا من أن الشعر الحديث ، أو الحر هو الذى أورده هو وردده دعاة قصيدة النثر .. وهذ مثل بسيط يوضح مدى البلبلة التى خلفتها دعوة قصيدة النث السيئة الصيت .

فلو ان نقادنا اعاروا دراسة الشعر الجديد دراسة لا تقتصر على مضمونه وحده انما تتناول مضمونه وشكله بعد ان يثبتوا له مصطلحا فنيا يركن اليه بدلا من هذا التسيب الجاثم ظله على أكثر القصائد الجديدة التى لا يجد اصحابها غضاضة فى اللجوء اليه ، لو فعلوا ذلك لاستطاع شعرهم أن يقف على قدميه قويا كأفضل ما يكون محددا موقفه ازاء ما يعتوره من تمزق وهذا لا يمنع بالطبع من ان يكون ثمة نقاد اعاروا الشكل والمضمون ذات الأهمية وقاموا بدراستهما وتحليلهما معا فكسب الشعر الجديد من تلك الدراسات الشىء الكثير ، لكن ما دمنا قد افتقدنا المصطلح فسنظل نتخبط فى متاهات محفوفة بالمخاطر

قدمت الاستاذة « **نازك الملائكة** » فى كتابها **قضايا الشعر المعاصر** ، قواعد عروضية ارتأت فيها مرجعا يعود اليه الشعراء الجدد ، وما وضعته واضح التزمت شديد المغالاة ، لكنا مع هذا كان بامكاننا ان نعود اليها لنلتمس ما يوافق شعرنا الحالى ونرفض ما يخالفه اى اننا نستطيع ان نستعين منها شيئا نضيفه الى ما يصطلحه نقادنا من مفاهيم وقواعد بدلا من هذا الرفض المطبق ..

اشرنا بأن الشعر الجديد يعانى تمزقا داخليا ومن أطرف دلائل هذا التمزق ما نلحظه من اختلاف نقادنا اليوم من طبيعة هذا الشعر هل هو حركة ام مدرسة ؟ هل هو مذهب ام هو اتجاه جديد ؟ وهل ليس ثمة فارق بينه وبين الشعر التقليدى أو هل بينهما مثل هذا الفارق . ومن الطريف ايضا أن الاختلاف ذاته يشمل حتى الاسم فالبعض يسميه حرا والآخر حديثا وجديدا ومنطلقا ومبعث ذلك انالنقاد لم يحاولوا الى الآن أن يوحدوا وجهات نظرهم فى طبيعة هذا الشعر وانما شغلوا انفسهم بقضايا ـ مهمة فى الواقع ـ لكن كان ينبغى الا يتعرض لها الا بعد التفرغ من تثبيت هذا الشعر وتقويمه على مصطلح واضح محدد .

بقيت ظاهرة كنا نؤثر الا ندرجها مع ما سلف ادراجه لكثرة ما خضنا فيها دون جدوى اعنى بها موقف شيوخ نقادنا الذين نعتز بهم فهم صفوة الجيل الماضى التى سلمتنا اعباء الأمانة بعد أن احرقوا أعصابهم وانفسهم من اجل ان يجعلوا تلك الأمانة حقيقة نابضة بالحياة هؤلاء ما كان ينبغى على نقادنا المحدثين ان يتركوهم فى عزلتهم يلتحفون الصمت والنفور من الشعر الجديد كان ينبغى ان يأخذوهم بالحسنى بدلا من المهاترات واطلاق التهم عليهم جزافا ، لهؤلاء رأيهم فى الشعر الجديد وهو منبثق من طبيعة نظرتهم للشعر التقليدى .. لكن رأيهم هذا كان فى الامكان أن يعدل لو أن نقادنا المحدثين عمدوا الى مناقشتهم بالتى هى احسن بدلا من تركهم فى صمتهم ، ولكن مع هذا فقد خسر الشعر الجديد الشىء الكثير من هؤلاء ، خسر حين هاجموه وخسر ايضا حين سكتوا عنه معرضين .

شئت ان ازعم ان الشعر الجديد يمر بأزمة لها ظواهر وسمات وعمدت الى بسط تلك الظواهر .. وكنت فى أكثرها قد نأيت عن وضع حلول .. لأنه ليس مقصدى هنا ان اقدم حلولا ازعم فيها علاجا لهذه الأزمة ، انما عرضت آراء شخصية قابلة للأخذ والرد ، فعسى ان تجد صدى ما فى نفوس نقادنا الأفاضل ليعيدوا بناء نقدهم للشعر الجديد على اسس أفضل مما هى واقوم .. من اجل ترسيخ حركة الشعر الجديد ودفعها اشواطا بعيدة فى طريق التقدم والنضج .

عبد الاله عبد الرزاق

رسالة الفن :

استعدوا لمهرجان السينما

بقلم عبد الفتاح البارودى

ماذا سيفعله السينمائيون فى مهرجان السينما ؟!

ان الدكتور **عبد القادر حاتم** أعلن فى حفل توزيع جوائز السينما انه تقرر اقامة مهرجان دولى للسينما فى الجمهورية العربية المتحدة ، وسيقام هذا المهرجان سنويا ، وسيبدأ أول مهرجان فى اوائل العام القادم

هذا خبر هام جدا ، ولكن اهميته ليست فى مجرد اقامة المهرجانات ... لقد اشتركنا فى مهرجانات كثيرة ، واقيمت عندنا اسابيع سينمائية كثيرة ، ولكنها مرت كلها دون أن نستفيد منها استفادة حقيقية .

فمثلا رأينا فيها نظريات سينمائية مختلفة ، ولكننا لم نناقشها ، وللآن لا نعرف معنى « النظرية السينمائية » ، وللآن نمارس السينما بلا نظريات ... وسمعنا مناقشات الخبراء فى التكنيك ، والى الآن نعمل بتكنيك بدائى او ارتجالى ... وسمعنا نقد الفنيين لافلامنا ، ولكن لم نكترث بما قالوه ... فهم مثلا قالوا ان موضوعاتنا تدور فى نطاق ضيق ومجال غير فنى ، وقالوا أن ممثلينا يهتمون (بالبوزات) المفتعلة اكثر مما يهتمون بالتعبير السينمائى ، وقالوا ان سيناريوهاتنا عبارة عن « تلزيق » للمشاهد المكتوبة بلغة غير سينمائية ، وقالوا ان كاميراتنا تتحرك فى بلاتوهات مثل « **علب الكبريت** » ... الخ ... ومع ذلك لانزال معظم أفلامنا حتى الآن تعانى هذه العيوب ، وكأنها تدور كلها فى ساقية واحدة ...

فاذا كنا لم نستفد من ملاحظات الخبراء العالميين فى المهرجانات التى اشتركنا فيها فى الخارج ، فهل سنستفيد من ملاحظاتهم فى المهرجان الذى سيعقد فى بلادنا ؟! نعم سنستفيد ... لماذا ؟ وما الفرق ؟!

الفرق هو اننا كنا فى الماضى نذهب الى المهرجانات وكأنها فرصة لمجرد «الفنطزية» ... كنا نشترك فيها اشتراكا شكليا ، ولهذا كان نجومنا يذهبون اليها وكأنهم ذاهبون الى حفلات استعراضية ... كان هذا هو تفكيرهم ، ولا تزال فيهم رواسب من هذا التفكير ... لم يفكروا مثلا فى عقد ندوات او الاشتراك فى ندوات للمناقشات الفنية والاحتكاك الفنى والثقاف بخبرات الآخرين ... أما المهرجان القادم الذى سيعقد فى بلادنا فان الفرض من اقامته سيحوله تلقائيا الى مهرجان جاد نواجه فيه مشكلاتنا السينمائية بصراحة . ونضع انفسنا فى محك الاختبار الدولى لنحقق ارادة التغيير ، تغيير تفكيرنا السينمائى ، ورفع مستوى انتاجنا السينمائى ، ولهذا سيكون المهرجان ، بل سيكون العام القادم كله بداية الانطلاقة السينمائية التى تنقل افلامنا من مرحلة التخلف والارتجال الى مرحلة التقدم والعلم والتخطيط والمنهج

ان هذا يلقى على السينمائيين مسئولية ضخمة ، فهل يعرفونها ؟

ان الدولة وضعت تخطيطات ومشروعات مدروسة ، ولكن لابد من ان يرتفع السينمائيون الى مستوى مسئوليتهم ، والا فستظل هذه المشروعات مجرد مرافق ومبان ومنشئات مادية فقط ... لقد كان الحقل السينمائى مجالا للادعياء

والجهلاء والمرتزقة والاستغلاليين والاحتكارين .. الخ .. كان معظم المنتجين يركزون جهودهم فى الحصول على سلفة التوزيع يملأون منها جيوبهم اولا ، ويدفعون اجور الاستوديوهات « وعرابين » النجوم ، ثم تتحول الافلام الى فضائح فى المحاكم ، وكان معظم الموزعين يركزون انظارهم فى شباك التذاكر يأخذون منه أولا أرباحهم الفاحشة ، ويضعون النجوم و « النجمات » فى مساومات !! وكان اختيار النجوم خاضعا قبل كل شيء لمنطق « الشلل » » التى تهتم بالسهرات والحفلات دون اعتبار للقيم الفنية .. وبصفة عامة كان دخول الحقل السينمائى عملية رهيبة تتحكم فيها الاساليب اللولبية والفهلوة والحداقة ، واشياء اخرى !!

من اجل ذلك كله انشأت الدولة القطاع العام للقضاء على هذه المساوىء ، ومعاونة السينمائيين جميعا حتى فى القطاع الخاص – على المشاركة فى الانطلاقة السينمائية ... ان بين العاملين فى القطاع الخاص شرفاء ومثقفين ، ولكن كان من المستحيل أن يتخلصوا من المساوىء التى ادت الى تدهور السينما ، ولهذا كان انشاء القطاع العام ضرورة فنية ... وفعلا فى خلال ١٨ أو ١٩ شهرا استطاع أن يحقق نتائج فى غاية الاهمية .

فهو مثلا وضع مشروعا ضخما لانشاء مدينة السينما التى ستجعل بلادنا مركزا عالميا للسينما .. وانشئت شركات لممارسة مختلف أنواع الانتاج السينمائى ... فانشئت شركة لصناعة الافلام الخام ، ومعامل لتحميض الافلام الملونة ، واعدت مشروعات للانتاج المشترك ، وسيتم انتاج عشرة أفلام بالاشتراك مع الشركات العالمية الامريكية ، و ١٥ فيلما مع الشركات الايطالية والفرنسية وانشئت شركة الانتاج وتوزيع أفلام التليفزيون ، وبلغت حصيلة مبيعاتها ٧٠٠ الف جنيه استرلينى ستزيد فى العام القادم الى مليون جنيه ... ونجحت عملية دبلجة الافلام العربية ، وبلغت حصيلة مبيعاتها مليونا و ٢٠٠ الف جنيه استرلينى .. وبلغ حجم الانتاج السينمائى ٨٥ فيلما طويلا و ١١٨ فيلما قصيرا . وانشئت شركة للاستوديوهات لتجديدها وتزويدها بالمعدات والاجهزة العلمية والكاميرات ... الخ ..

فهل معنى ذلك أن مشكلات السينما انتهت !! ان المشكلة الكبرى هى مشكلة « تفكير » .. وكل هذه المعدات والمنشآت لا قيمة لها اذا لم يتغير التفكير السينمائى نفسه ... ان اذهان السينمائيين لاتزال فيها رواسب من الماضى ، وهذا ينعكس على انتاجهم فى القطاع العام ... فلان لايزال بين السينمائيين عدد كبير لم يعرفوا بعد أن السينما « ادب » له لغته الخاصة به ، وان السيناريو هو فن استخدام هذه اللغة ، وان الغرض الجوهرى من الفن السينمائى هو خدمة المجتمع .. ومع ذلك فان القطاع العام يسير نحو هذه المعرفة ، وسيساعد على ذلك تخريج عدد من المثقفين فى معهد السيناريو ، وتدعيم الدراسات فى معهد السينما ، وانشاء الاجهزة التى بدأت مراجعة السيناريوهات ، وتشجيع المواهب الجديدة المثقفة واتاحة الفرصة لها للدخول فى الاستوديوهات والحلول شيئا فشيئا محل الذين دخلوا هذه الاستوديوهات من الابواب الخلفية ...

وفى هذه الناحية ايضا سيفيدنا المهرجان السينمائى القادم ... كيف ؟ على الاقل سنرى فيه نماذج عالمية للقصص والسيناريوهات ، وسيعرض لنا خبرات السينمائيين العالميين عرضا تطبيقيا ، وسنعرف أوجه الاختلاف والتشابه بين اساليب ممارسة الفن السينمائى ، وكيفية اعداد الانتاج السينمائى وتنفيذه على نظريات فنية مدروسة ، وكل هذا سيؤثر فى تفكيرنا السينمائى وسيرفعه الى المستوى العالمى

ولكننا نرى الآن وفى كل المواسم افلاما عالمية تعرض فى بلادنا – بدون مهرجانات – ومع ذلك لم تغير تفكيرنا السينمائى ، فكيف سيتغير فى هذه المهرجانات !!

لقد رأينا فعلا أفلاما عالمية كثيرة ، ولكنها مرت دون ان نستفيد بها ، لاننا لم ندرسها ... اما المهرجانات ففيها فرصة كبيرة للدراسة ... ومن اجل ذلك يجب ان نستعد من الآن لتحويل المهرجان القادم الى مهرجان ثقافى .. يجب التحضير لعقد ندوات تناقش فيها الخبراء الذين سيحضرون هذا المهرجان ، ونتبادل معهم الرأى فى افلامهم وافلامنا ، ونستفيد من خبراتهم ... كذلك يجب تحضير بحوث اكاديمية عن مشكلات السينما عندنا ، وترجمة بحوث السينمائيين العالميين لنتعلم منها لغة السينما والتكنيك والنثر السينمائى وفنون

السيناريو واساليب الاخراج ودور الكاميرا ودور المونتاج ... الخ

اننا اذا نظرنا الى المهرجان القادم نظرة جادة فلا جدال فى اننا سنعمق تفكيرنا السينمائى وسنصحح مفهوماتنا السينمائية ، وهذا بلا جدال سيرفع مستوى انتاجنا السينمائى

ان تحقيق ذلك لايحتاج الى معجزة ، وانما يحتاج الى فهم والى تخطيط .. علينا اولا ان نحدد مشكلاتنا بوعى ، ونعالجها بوعى .

ان تاريخ السينما فى العالم كله لايزيد على ٦٥ سنة ، ونحن فى بلادنا بدأنا نشاهد الوانا من الافلام الاجنبية منذ ٥١ سنة ، وعندما توقف استيراد هذه الافلام بسبب الحرب العالمية الاولى ظهرت عندنا محاولات بدائية لانتاج أفلام محلية ، ثم تطورت هذه المحاولات الى ان بدأنا الانتاج بمعنى اوسع فى عام ١٩٢٧ الذى يعتبره كثيرون بداية صناعة السينما فى مصر .. ومعنى ذلك باختصار ان المسافة بيننا وبين السينمائيين ليست مسافة زمنية ... اذن لماذا تقدموا هم بفنون السينما هذا التقدم المذهل ، بينما لاتزال عندنا متخلفة ؟!

ان الفرق هو فرق فى التفكير الفنى .. ان السينما عندنا حاولت اعداد قصص أدبية منذ سنة ١٩٢٨ عندما اخرج محمد كريم قصة « **زينب** » للدكتور محمد حسين هيكل ، وكان المفروض أن تنضج هذه المحاولة بالتدريج وتتحقق القيمة الادبية فى افلامنا ، ولكننا نرى الآن فى افلامنا افلاما ليست ذات قيمة ادبية اطلاقا ... فاذا كنا نرى بعض افلام ممتازة نسبيا ، فاننا نرى بجانبها عشرات الافلام الهزيلة ،

وايضا فى سنة ١٩٣٩ أخرج كمال سليم فيلم « **العزيمة** » ، وكان محاولة لها قيمتها فى استخدام الاسلوب الواقعى فى الاخراج ، وكان المفروض ان تنضج هذه المحاولة ايضا وتتحقق القيمة الفنية فى افلامنا ، ولكننا نرى الآن افلاما تخرج اخراجا بدائيا ... فاذا كنا نرى بعض افلام ممتازة نسبيا فى الاخراج ، فاننا نرى بجانبها عشرات الافلام التى افلامنا لايسير سيرا سليما ، بل يسير اعتباطا ، اخرجت اخراجا تافها

والامثلة كثيرة فى التدليل على ان خط التطور فى افلامنا لا يسير سيرا سليما ، بل يسير اعتباطا والسبب هو اننا نمارس السينما بلا منهج وبلا تخطيط .. من اجل ذلك تقدم السينمائيون العالميون وتخلفنا ، لانهم يمارسون السينما ممارسة واعية وقائمة على اسس علمية ... لقد بدأوا مثلنا فى المرحلة الارتجالية ، وكانت افلامهم ساذجة، وكانت افلامهم الكوميدية تهريجا يعتمد على الحركات المفتعلة وكانت افلامهم الغنائية لقطات من الاستعراضات والمنوعات السطحية .. الخ .. ولكنهم بالاساليب العلمية اصبحوا يمارسون السينما كأداة لها قيمتها الحضارية ، لدرجة أن العصر الحديث – قبل ظهور التليفزيون – كان يسمى عصر السينما

واذن فالطريق الى رفع مستوى السينما عندنا هو – ايضا – العلم ... وهذا هو الدور الحقيقى الذى يجب ان يؤديه القطاع العام ... وفعلا قام هذا القطاع على اسس علمية ، ولكن يجب أن يغير السينمائيون تفكيرهم القديم ليمكن أن يمارسوا السينما فى المرحلة العلمية ، اذ ما فائدة هذه المنشئات والمعدات والاجهزة اذا لم يستخدموها استخداما علميا ؟! فمثلا بدلا من الاهتمام بشباك التذاكر علينا ان نهتم بالقيم الفنية ، وبدلا من اختيار القصص التى تستثير التصفيق الساذج علينا أن نختار القصص المرتبطة بمشكلاتنا وحياتنا ... وبدلا من قياس النجوم بمدى شهرتهم علينا ان نقيسهم بمدى صلاحيتهم للادوار التى يمثلونها .

ان التجارب التى قام بها القطاع العام لم تظهر للآن هذه الاتجاهات بوضوح ، ولكن المهم اولا انه طهر الحقل السينمائى من المساوىء الرئيسية التى كان يستحيل أن تظهر فيها هذه الاتجاهات ، والمهم ثانيا انه يحاول الآن الاستفادة من الاخطاء التى وقع فيها قصيرة جدا ... ومن المهم جدا ان يجد فى المهرجان القادم مجالا عمليا للاحتكاك بتجارب السينمائيين العالميين والاستفادة من خبراتهم ، ومعرفة احدث التطورات السينمائية فى الصناعة والفن والتكنيك والاسلوب

يجب أن نستعد لهذا المهرجان ، لنضع تجاربنا موضع المقارنة العلمية وليتغير تفكيرنا السينمائى تغيرا جذريا ، بحيث نصحح مفهوماتنا على ضوء ما سنشاهده من تجارب تفيدنا فى فهم التكنيك السينمائى ، وتساعدنا على خلق تجارب فيها طابعنا وشخصيتنا ، وفيها التكنيك العالمى ... نريد ان نحول هذا المهرجان الى مهرجان ثقافى ، ولا نريد ان نعقد مهرجانا « لنتفرج عليه » !!

عبد الفتاح البارودى



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

لقاء مع أديب

عندما أقابل أديبا كبيرا أحس أن العالم كله ينتظرني في هذا الكاتب ، فاذا ظل هذا الشعور يسيطر على في هذا اللقاء أحسست أني مع كاتب أصيل نجح في أن يكون (تلخيصا) للعالم ، اما اذا تناقص هذا الشعور أو توارى فاني أحس أني كنت في فراغ أو ما يشبه الفراغ .

ولقد تحقق لى هذا الاحساس الأول وأنا أسعى اليه في هذا الاسبوع ، ولا أدرى كلما يزهر عمرى ويتيه وتملأه الصبوة ، كلما سعيت الى واحد من هؤلاء الذين يملأون حياتنا ، ويجعلوننا نعيش الوجود بحب وفهم .. لقد خفق قلبي وأنا أقابل بعض الادباء ، وخفق عقلي وأنا أقابل البعض الآخر ، ولكن كلا من قلبي وعقلي قد خفقا وأنا أسير اليه .. وأنا اقتحم عالمه .. وأنا أهز مع يده الحياة واثنين واربعين مؤلفا ! .

ومع أنه يصدر من (منطقة اختصاص) أدبي تختلف عن الشعر ، الا أني أحسست أن الشعر يغمر عالمه .. مازال يغمر عالمه ، فقد بدأ شاعرا ، ثم تسلل الشاعر الى بعض أعماله ، فاذا بمضامين هذه الأعمال مضامين شعرية كما في (رد قلبي) و (بين الاطلال) .

واذا في أعماقه الشاعر الذي لايحرص على أن يستعرض نفسه من خلال منصب ، أو سلوك متحفظ ، أو وجه حاد الملامح ، ذلك لانه يتعامل مع (الجوهر الحقيقي) لكل ما يعانق من قضايا ، ولانه يحس بأنفاس الحياة تتوهج وتتزاحم من سن قلمه ، ولأنه أخيرا - كما يقولون - على الطبيعة ، ففيه اخضرار النفس ، والصبوة ، والتلقائية ، والاحساس بأنه يخلق شيئا جديدا ، وبأنه تشمه دائما رائحة خلق جديد ! .

وأنا أعترف أني حين دخلت عليه - مع الزميل عباس خضر - كنت أحس أن من حوله الاسرة الفرعونية ، وكافة الشخصيات التي يعايشها الآن في رواية (أقوى من الموت) ، وأن شيئا في عينيه كان لنا ، وشيئا في عينيه كان لأعباء منصبه ، الا أن الشيء اللامع العميق الاخضر كان مع تاريخه الطويل الذي شيده كلمة كلمة وكتابا كتابا .

وحين يدق التليفون ، ويرفع السماعة ، يتوافد على ذهني سؤال يدور حول أني أكاد اعرف أكثر ما سيتحدث به (يوسف السباعي) ، فأنا أعتقد أنه ما من كاتب أعطانا نفسه في أدب الرواية العربية أكثر مما أعطانا يوسف السباعي من خلال عدد من أعماله .

فأنت تراه يعكس نفسه على عدة أعمال ، لعل أهمها التلميذ الصغير الذي كان يلبس في يوم من الايام بنطلونا مرقعا من الخلف ، كما تراه يقدم في صورة فنية - أباه وأخاه وجدتيه وخادم الأسرة ، وتوفيق أفندي مدرس الانجليزي في مجموعة (بين أبو الريش وجنينة ياميش ١٩٥٠) ومجموعة (السقامات ١٩٥٢) ووقع الدراسة الاولى على نفسه

فيما أورده عن كتاب الاجتهاد ، وكتاب الشيخ كفتة والشيخ كحكو ، ودراسته في الثانوي وفي المدرسة الحربية في (رد قلبي ١٩٥٤) واهماله في الدروس في قصة ملحق حساب في الابتدائية من كتاب (من حياتي ١٩٥٨) وكذلك نرى مستوى الاسرة في بين أبو الريش وجنينة ياميش ، وصلته العميقة بأبيه الكاتب الكبير محمد السباعي في (البحث عن جسد ١٩٥٣) ، وفي الحزن الذي صوره في سيد عندما مات والده السقا ، ويمكن ان نتعرف على وجهة نظره في الحكم في (أرض النفاق ١٩٤٩) و (يا أمة ضحكت ١٩٤٨) و (وراء الستار ١٩٥٢) ونتحسس أمله في المستقبل في مجاميع أرض النفاق ووراء الستار ويا أمة ضحكت .

.. وتمر هذه الصور السريعة ، ويبتسم (يوسف السباعي) ، واجد على شفتي سؤالا مكملا للشريط السريع الذي مر في ذهني فأقول له :

« كما ان حياتك واضحة من خلال قصصك ، فان وقع الاحداث على نفسك لا يصعب في تلمسه القارىء فرد قلبي انعكاس لما احدثته الثورة في حياتنا ، ونادية اعطتنا فترة التأميم ، وجفت الدموع قدمت امجاد الوحدة ، وليل له آخر قالت كلمتها في الانفصال .. (فما رأيك في الالتزام ؟) » .

ويجيب : « انا مع حرية الاديب كأعمق ما تكون عليه هذه الحرية ، وفي ضوء هذا فانا لا ارتاح لمصطلح (الالتزام) بل انه في الواقع نوع من (الالزام) ذلك لان المطلوب من كل كاتب أن يكون متفتح الحواس على وطنه وعصره ، ثم ان الاديب الذي يستطيع الانعزال عن تجاربه وتجارب مجتمعه لايكون جديرا بان يضع نفسه داخل دائرة النار .. دائرة الفكر ، ومن هنا فالمطلوب منه أن يكون تعبيره مباشرا عن انفعاله الصادق بما حوله ، وقد احسست أن من الواجب على أن أكتب عن هذه التحولات في بلادنا ، وبخاصة أن هذه التحولات كانت تحتاج الى وعى ضابط وقلم أديب ، ثم انى وجدت نفسي احيانا في (دائرة الحدث) كما حدث حين كنت في دمشق وقت الانفصال ، وقد اعطاني كل هذا الحدث تسعمائة وسبعا وسبعين صفحة من عملي الاخير « ليل له آخر » .

.. وامد يدى الى الكتاب فاجد هذه المقدمة التي تقدم الكتاب كما تقدم يوسف السباعي نفسه ، اقرأ فيها الاهداء الذي يقول :

« في عرض البحر .. والسفينة تشق طريقها الى اليمن ، اقبل علي اسمر الوجه رقيق السمات يسألني في حياء ان كان يستطيع ان يعرف خاتمة هذه القصة فقد شق عليه الرحيل الى الميدان دون أن يتم قراءتها، اذ لم تكن قد استكملت النشر مسلسلة ووقفت واياه على سطح المركب اقص عليه ما لم ينشر بعد من القصة ، وعندما امسك بها الآن كاملة احس برغبة في أن اهديها اليه ، فالى الصديق النقيب « سمير » اهدى قصة « ليل له آخر » ، اهديها اليه قارئا منحنى من التقدير اصدقه واخلصه »

واعتقد ان كل من تتاح له فرصة لقاء (يوسف السباعي) لابد له أن يتذكر العدد الوفير من كتبه الموجودة تحت « المخدات » في البيوت العربية ، والتي يمكن العثور عليها بالتساوي بين العيون والشفاه ، وفي الخطابات الزرقاء ، وجلسات الحب تحت مصباح هامس أو قمر يمعن في الهمس !

وقد وجدته مرة في فصل - في هيئة غريبة - حين قمت بالتدريس في بلد عربي شقيق ، فقد استرعت انتباهي تلميذة تشرع الكتاب ، وتشرع اهدابها وعمرها وهي تحدق فيه ، وحين كنت أطلب الاجابة على شيء مما في الكتاب كانت تأتي الى اجابة متنهدة لا صلة لها بموضوع الدرس ، وامعنت النظر في الكتاب فاذا عليه غلاف رقيق يؤكد المادة التي ادرسها ، « دار في ذهني أن أرفع الغلاف » ورفعته بالفعل ، فاذا بي أمام كتاب (مبكى العشاق) .

وقد دار في نفسي أن أقص في جلستنا هذه القصة ، ولكني وجدتني اذكر له ماقاله اخيرا (دزموند استيوارت) من أن يوسف السباعي واحسان عبد القدوس يتمتعان بشعبية « ناعمة » تشبه ما كان يتمتع به « ريتشاردسون » في القرن الثامن عشر من انجلترا ، ومن هنا قلت له « هل التركيز على الجنس في أدبك مرحلة من المراحل ، ام انه أصل من الأصول التي ترتكز عليها ، وأخيرا ماذا يعني عندك الجنس ؟ » .

ويعتدل (يوسف السباعي) في مكانه ، ويأخذ صوته « وضعا حاسما » ثم يقول :

« الذي اعرفه أن « دزموند استيوارت » ذكر جانبا واحدا من الجوانب البارزة عندى والتي أتلاقى فيها مع احسان ، والذي اعرفه كذلك أن الجنس محور لامع تدور حوله الحياة ، وأنني لا أتعمد ولا « أجرى » وراء الحديث عنه ، والا لم يكن هناك فرق بيني وبين من يبيع الصور العارية .. فانا

أراعى - فيما أكتب - المجتمع عندنا ، وأحرص كل الحرص على الا اخدش حياءه ، وفي الوقت نفسه أحرص على ألا أزيف حياة الانسان بان البسه ملابس فضفاضة تضحك عليه الحقيقة ·

فالتزام حياء المجتمع فنيا امر لابد منه بالقدر الذى يظل به الأدب أدبا ، صحيح أن الانطلاق غير المحدود قد يكون مطالبا به قلمى لو كنت فى بلد كالسويد مثلا ، ولكنى هنا احرص على حقيقة الفن، وعلى عدم الاعتداء على المجتمع ، بالاضافة الى نفى « الخوف » تماما حين أمسك القلم بفكرى واصابعى ·· ثم لا يمكن أن تنسى أن الجنس الأكثر قراءة عندنا هو « الجنس اللطيف » ، وهنا يقول « عباس خضر » أنا أبرر رواج القراءة فى هذه « المنطقة الدافئة » بأن الفتيات عندهن احساس صادق بأنك واحسان تعطيان أدق التفاصيل الدقيقة لحياتهن وشقاوتهن وتطلعهن ·

ولقد أحسست بارتياح لهذا التعليل لانى لا أزال أذكر الفتاة وسيمة - احدى بنات أحد أصدقائى - التى فسد عليها المصيف وافسدته على اسرتها لانها ظلت تعيش مع البطلة نادية فى رواية (نادية) ثم حين ماتت البطلة أصابها الرعب وعدم الاقبال على حياة المصيف ·· ومهما يكن من شىء فمؤلفات « يوسف السباعى » يتحقق فيها ما يمكن أن يسمى بالجاذبية بين « الفنان والقارىء » ، فلا أحد يشك فى قيمة العملة التى يطرحها فى السوق الادبية ، ولا أحد يشك فى أن أكثر هذه العملة يتحول الى « أسورة جنيهات » و «حلق» ولكنه نادرا ما يتحول الى « زرار » فى قميص رجالى ، ثم ان من الطبيعي جدا أن تزدحم « الصاغة » بالجنس اللطيف !

·· والاديب حين يكرم الضيوف لا يقدم لهم مشروبا ، وانما يتكلم ·· يتدفق ·· يقدم نوعا ثمينا من الجواهر يبرق فى النفس ويضىء فى الوجدان ، وهكذا يتحول الاديب الى ضوء مسموع، ويتحول الزائر الى سمع مضىء ، بل لقد ساورتنى الخشية من أن يطلب لنا شرابا فننصرف عنه به ، ولكنه كان عند حسن الظن من الكرم الادبى ، وكان مما قاله : انه عظيم الثقة فى الجيل المعاصر فى القصة ، وانأعمالهم حين تجدالمترجم المتمكن ستقف الى جوار الأعمال العالمية الكبيرة ، وأن شخصيتناقد وضحت الآن تماما فى الفكر بحيث لم تصبح ظلالا شائهة للأعمال الاجنبية ، أو للوهم المحلى ، ففى الأدب الآن ما يعطى حياتنا وفكرنا أعمق ما يكون العطاء ، وان هذا العطاء قد أرسته «زينب» و (عودة الروح) ·

وينتقل الى المجلات الادبية فيذكر انها خطوة موفقة فى عالم الثقافة ، ويركز على أن كل مجلة جديدة يجب أن تضع فى اهتمامها أن تعطى فرصة لقلم جديد ونبض جديد ، وأن تقدم (غذاء صحيا) للقارىء الذى ينتظرها فى الخارج ·

ثم يرق صوته وهو يتحدث عن أبيه ، وكيف انه تأثر به فترة كبيرة من حياته ، وحين ذكر انه انطلق بعد ذلك « كالاكسبريس » كان يخيل الى ان فى صوته ما يشبه الاعتذار للسباعى الكبير ·

وأنا أعترف أنى كنت أحاول (اقتناص) هذه اللحظة العاطفية ، لأقف معه فترة فى عالم الشعر، وكأنه يدرك هذا فيسرع الى القول بأنه كان من الشعراء فى أول حياته الادبية ، وأنه الى الآن يحب الشعر ، ولا يمل من قراءته ، وأن الشعر فى الفترة الاخيرة قد طغى عليه الشكل الصارم الذى يعطى القصيدة فى بحر واحد وقافية واحدة ، وأن الاصرار على هذا الشكل فى هذه الفترة ، هو الذى أعطى « جواز مرور » للشعر الحر ، ذلك لأن الناس وجدوا معمارا متماسكا دون أن يحسوا شيئا وراء هذا المعمار المتماسك طوبة طوبة وكلمة كلمة ·

وقد ساعد علىهذا أن الجيل المعاصريعانى «نقصا» فى اللغة ، وان الحياة تطلب نوعا من السرعة ، ونوعا من التجاوز عن الشكل من أجل المضمون ،ثم يؤكد أن كل تغيير لا بد أن « يفرضه » شاعر عظيم، وأن هذا الشاعر العظيم لم يوجد الى الآن ·

ثم يضيف - وهو يبتسم - أن الشعر ضرورة من ضرورات الحب والحياة ، وأن من يحب يقول لحبيبته - حين يلتقيان - شعرا لاقصة ! ·

واحس بزهو وانا استمع الى هذا التشبيب بالشعر ، ولكن سرعان ما أعود الى ذكر ان «يوسف السباعى» انتفع بهذه الشاعرية فى كثير من أعماله، وبخاصة فى (رد قلبى) و (بين الاطلال) ، وان مضمون بعض قصصه يكاد يكون مضمونا شعريا، ولا ينقص هذا من فرحتى بل يزيدنى نشوة ، ويجعلنى أشعر وانا أهز يديه مصافحا انى أهز يد (شاعر عظيم) فى عالم القصة ·

« عبده بدوى »



الكتب
نقد وتعريف

يقدمه: تحسين عبدالحى

نظرات فى أدبنا المعاصر ..

لاشك أن أدبنا العربى المعاصر فى حاجة الى مزيد من الدفعات القوية والقادرة على أن تبلور اتجاهه وتحدد سماته ـ لكى نستطيع أن نقول حينئذ ان لنا أدبا له من الصفات والملامح المميزة ما يساعده على أن يتبوأ مكانة لائقة بين الاتجاهات المختلفة للادب العالمى ..

واذا كان الادباء العالميون الرواد قد استطاعوا أن يقدموا لنا أدبا خالدا على مر الزمن ـ فانهم ـ قد استطاعوا أن يقدموا هذا الادب من خلال تجاربهم الانسانية فى مجتمعهم وفى الفترة التى عاشوا فيها ـ ولما كانت التجارب البشرية فى كل زمان ومكان اذا ما استوحاها الكاتب بصدق وأمانة وخيال واسع ـ تعبر الى حد كبير عن مشاكل الانسان فى مراحل تاريخية متقدمة .. فان ذلك يرجع الى ان أولئك الرواد قد عبروا عن انفسهم وعن مجتمعاتهم بصدق ومقدرة ..

واذا ما اخذنا انفسنا ببعض ما نراه اليوم فى أدبنا العربى المعاصر ـ نجد ان أدباءنا يحاولون دائما أن يهملوا أو يتناسوا كيانهم ـ وتجاربهم مع مجتمعهم ـ ليهربوا بهذا الكيان الضائع الممزق الى اوهام يفترضونها هم فى خيالهم .. فى محاولة يائسة لتقليد أعمى لبعض الاتجاهات الادبية الاوربية .. متجاهلين تماما طبيعة وظروف مجتمعاتهم التى يعيشون فيها .. وهذا القول طبعا لا ينسحب كثيرا على أولئك الذين استطاعوا أن يتعلموا من أوربا الأدب كفن واتجاه ومن ثم لجأوا الى تراثهم الحافل بالاعمال العظيمة ـ ليستوحوا منه كثيرا من أعمالهم الادبية الناجحة ..

ان انفصال الأدب عن واقع المجتمع لا يحمل فى طياته الا شيئين : ـ

أولهما : أن المفكر العربى قد أصبح يفكر تفكيرا ذاتيا مغلقا لايستطيع من خلاله أن يتجاوب مع حركة جمهوره الذى يكتب له .

وثانيهما : وهو أخطر بكثير .. أن يكون المفكر العربى ـ وقد اتخذ هذا الموقف غير مؤمن بحركة مجتمعه هذه .. بمعنى انه لايستطيع أن يتفاعل معها وينفعل بها ـ على مستوى موضوعى خلاق .. والا فكيف نفسر تلك النزعات الفردية الاقليمية ـ التى لاتعبر عن شىء .. ؟

ان الأهداف القومية والخطط السياسية والتحولات الاجتماعية والتحركات البشرية ـ لشعبنا العربى ـ مليئة بأغنى التجارب الانسانية وأروعها .. فأين هى فى أدبنا المعاصر .. ؟

أين أدب النكبة مثلا .. ؟ لقد قلت مرة وفى هذه الصفحات المخصصة لباب الكتب أن ايتيل مانين الانجليزية ـ قد احست بمشكلة اللاجئين العرب وانفعلت بها وكتبت عنها روايتها المعروفة ـ الطريق الى بئر سبع ـ فأين نحن والقضية قضيتنا والمشكلة مشكلتنا ـ ؟ وكذلك تجتاز جماهير شعبنا من المحيط الى الخليج مرحلة هامة فى تاريخها .. تتميز بالثورة على الاقليمية ـ وعلى الحدود المصطنعة

في حركتها المستمرة نحو وحدتها القومية ·· فاين هذه المشاعر والاحاسيس في أدبنا ·· ؟ لا شيء ··

فالقيادات السياسية تعمل في واد ، والأدباء والمفكرون العرب يعملون في وادى آخر يقحمون انفسهم فى اتجاهات اللا معقول وغيره من المذاهب التى تمثل مرحلة الضياع والتمزق المادى والنفسى والمعنوى للمجتمع الاوربي – بعد الحرب ··

ومع هذا فالقضية هنا شائكة وخطيرة ·· ولنطرح على انفسنا سؤالا واحدا ؟

هل يعنى التقدم المادى بمحتوياته الصناعية والتكنولوجية والاجتماعية ان تتقدم – وبالضرورة – العلوم الانسانية فى خط مواز له ·· ؟

وسوف يكون من الصعوبة بمكان ان نجيب على هذا السؤال ·· لان الاتحاد السوفييتي مثلا بتقدمه وطاقاته المادية العظيمة ، لم يستطع أن يقدم لنا – امثال تشيكوف ودستويفسكى ·· اللذين عاشا فى روسيا القيصرية ··

واذا كان الامر كذلك فما هو الحل ·· ؟

الراى عندى انه لابد أن يؤمن الانسان ·· ان يؤمن اولا ويتفاعل بذهنه ووجدانه مع – تجارب شعبه وآمال أمته ·· ومن ثم يحاول أن يكون صادقا مع نفسه ومع فنه مهما تكن الظروف – ومن ثم يمكنه ان يعبر الى حد كبير عما يريد ·· وهذه أشياء فى الواقع تحتاج الى بحث شامل وطويل وكم يكون رائعا لو تناولها البعض بالدراسة والاستقصاء ··

وكتاب اليوم – نظرات فى أدبنا المعاصر – للدكتور زكى المحاسنى ·· لم يحاول أن يتعمق الى صلب القضية ، ولكنه تعرض لها من الخارج ·· وتوخى المؤلف اسلوب العرض المبسط لنماذج من الادب العربى المعاصر وان كان قد افتتح مجالا يعتبر هاما الى حد كبير ، وهو أنه قد عرض مقارناته الأدبية من خلال أدباء الوطن العربى كوحدة – وعلى مستوى قومى ·· ولم يقع فى نفس الخطا الشائع الذى يتورط فيه كثير من الباحثين عندما يقتصرون فى دراستهم على حدود اقليمهم الذى يعيشون فيه ··

يقول المؤلف : عن تاريخ الادب الحديث ··

« كانت حياة الفكر العربى فى أواخر القرن الماضى تشهد يقظة بعد خمول وانحطاط ، وكانت البلاد العربية فى ظلال الحكم العثمانى الذى فرض لغة الترك عليها ، دون ان يحسب حسابا لاصالتها وطبيعتها ، وبالرغم مما أصابها أخذت تتبرم وتشكو ، وأخذت مصر تنفض عن كاهلها عبء الجمود ، وهبت تفتح عينيها على ثقافة الامم ، فأوفدت بعوثا علمية الى الديار الاجنبية وافتتحت المدارس ، وظهرت فيها الصحافة والطباعة ، وكان أثرها بالغا فى نشر الوعى ، وتجديد الحياة والمعرفة، وكانت الديار الشامية على المصطلح القديم تمارس عراكا فكريا ووطنيا ، نبه الشعور الى كيان العروبة، ووجه الانظار الى مستقبلها ووجوب انبعاثها · ولم يكد يتخطى القرن التاسع عشر آخر أعوامه ، ويطل على العالم العربى القرن العشرون حتى كان فى مصر أدباء وعلماء تفقهوا فى الدين واللغة ، والفوا الكتب ، وكان من ابرزهم « حفنى ناصف » الذى جمع بين الصناعتين : الشعر والنثر ، وعكف على الثقافة فاحيا النقد الادبى ، وكتب فى تاريخ آداب اللغة العربية ، وشارك فى التاليف المدرسى لطلاب العلم ، وكان الشاعر الثائر « **ولى الدين يكن**» يخوض معركة الحرية فى وجه السلطان الاحمر « عبد المجيد الثانى » سلطان الترك الذى طبع المملكة بطابع الاستبداد ، فوقف « **ولى الدين يكن** » قلمه لحربه ، وقال قصائد رائعة ومقالات حماسية فى كتابيه « **الصحائف السود والتجارب** » و « **المعلوم والمجهول** » حتى جعل نطاقا من الاشعاع حول أدبه ، وقد وقف مثل وقفته الحرة أدباء وشعراء فى الشام ومصر والعراق وطالبوا فيها بتحرير الوطن العربى من ربقة الترك ، بكشف الحجاب عن وجه المرأة ، ونادوا بالمساواة فى حقوق المواطنين ··

وقد تحققت بصيحات الأحرار والمفكرين وكان فيهم الشيخ «**جمال الدين الأفغانى**» والامام « **محمد عبده** » والمجاهد الحلبى « **عبد الرحمن الكواكبى** » والشيخ « **رشيد رضا** » صاحب المنار والعلامة « **جرجى زيدان** » صاحب الهلال نهضة شاملة ·

وكانت ثورة مصر عام ١٩١٩ نقطة انطلاق فى الوعى القومى ، ومبعث انتفاضة فكرية ردد صداها العالم العربى ، وفى الوقت نفسه كان الازهر فى مصر ، والمجمع العلمى العربى بدمشق وغيرهما من معاهد العربية ومناراتها فى بقية البلاد حصونا منيعة للغة الضاد ، ولم يستطع الاستعمار أن ينال منها ·

ولعل حركة النقد الادبي والتطور التي قام بها نفر من نوابغ المصريين في الربع الاول من هذا القرن لم تكن أقل تأثيرا في حياة الادب من الدراسات الجامعية والمناهج الفكرية . وفي هذه الحركة القوية ظهر **عباس محمود العقاد** بحملة نقد وتقويم شاركه فيها زميله **ابراهيم المازني** ، وكانت الانظار والافكار تتبع هذه الحملة من قريب ومن بعيد ، ولئن كان فيها بعض التجني فقد افادت في توجيه الادب ودراسته ونقده .

وفي بلاد الشام كان أدب النضال يتمثل في قصيد الشعراء ونثر الكتاب ، فما كان يتردد في ذلك الحين ، الا ما كان فيه مناوأة الاستعمار وبعث الشعور الوطني في الرجال والنساء ، وكان الأدب في ذلك الحين هو المعبر عن روح الشعب ، وما فيها من رغبة في التحرر من سيطرة الأجنبي .

اذا الم بوادي النيل نازلة
باتت لها راسيات الشام تضطرب

واذا ما تابعنا مراحل تطور الادب العربي نجده قد بلغ الذروة فيما بين الحربين ، ومرد ذلك الى أن أعلام الادب في تلك الفترة كانوا قد بلغوا آفاق الاستاذية وكانت آثارهم التي جادوا بها هي من خير الآثار حتى الآن في المنتوج الحاضر .

وقد أسهمت الصحافة العربية الصادقة في المعركة الوطنية ، وادت كذلك خدمات بعيدة في الادب الحديث بنشر آثار أصحابا ، وتشجيع النوابغ والموهوبين ، واخذت دور النشر تعنى بكتب المؤلفين، وكان الادباء الفحول والشعراء الشيوخ الذين عاشوا في هذه الأونة مثل سدنة لهيكل الادب ، فنهضوا بأعباء وتبعات ، وهم جماعة عرفهم العالم العربي بجهودهم الفكرية وآثارهم المنشورة ، وقد ظلوا مثابرين على الانتاج الفكري والادبي حتى سجل التاريخ الادبي الحديث اسماءهم بكثير من الفخر والاعتزاز ـ وفي طليعة السابقين والمشهورين : **طه حسين . ومحمد حسين هيكل . وعباس محمود العقاد . واحمد أمين . واحمد حسن الزيات . وابراهيم المازني . ومصطفى صادق الرافعي . ومحمد كرد علي .وشكيب ارسلان . وعمر الفاخوري**

وضمت طائفة الشعراء : **احمد شوقي . وحافظ ابراهيم . وخليل مطران . ومعروف الرصافي . وجميل صدقي الزهاوي . ورضا الشبيبي . واحمد محرم . واحمد الكاشف . وبدوي الجبل . وعبد الرحمن شكري . وبشارة الخوري . وامين نخلة وغيرهم ممن ظهرت آثارهم بين الحربين او بعد الحرب الأولى .وكان في الشعراء بعد هؤلاء : احمد زكي ابو شادي . ومحمود ابو الوفا . وعلي محمود طه . وابراهيم ناجي . وحسن كامل الصيرفي ، وابراهيم طوقان . وابو القاسم الشابي ، وعمر ابو ريشة . وبدر الدين حامد . ومحمود حسن اسماعيل . وصلاح لبكي . وسعيد عقل . والياس ابو شبكة ونديم محمد ، وسليمان العيسى .**

وكان محور الادب العربي الحديث يدور على مجلتين أدبيتين كبيرتين عاشتا بين الحربين عيشة الرغد الفكري وهما مجلة « **الرسالة** » للكاتب البليغ **احمد حسن الزيات** ومجلة « **الثقافة** » التي أشرف على تحريرها البحاثة الاديب **احمد امين** .

وعلى الرغم من الضربات التي وجهها العقاد والمازني الى الشاعر أحمد شوقي فانه كان يتجاوب مع الحياة ، ويمضي خطاه مرموق المكانة ، مرجوا في شعره الذي كانت تزيده الايام والحوادث قوة وجمالا حتى أخذ شوقي يحتل آفاقه الفنية ، ويطلع على العالم العربي بشعر كان الغناء فيه فرح الشرق والعزاء في أحزانه .

فحين أبتليت ديار العرب في الشام بنكبات المحتلين هب شوقي ينشد على قيثاره المخزون تلك الفجائع ، ويسوق رواعد غضبه في روائع مواساته بقصيدته التي قالها في الثورة السورية عام ١٩٢٥ :

الست دمشق للاسلام ظئرا
ومرضعة الابوة لا تعق

دم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلم انه نور وحق

وللاوطان في دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

وكان شوقي في شعره رسول الوحدة العربية الكبرى اذ يقول :

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم
ونحن في الجرح والآلام اخــوان

اما حافظ ابراهيم شاعر النيل ٠٠ فقد كان بحق شاعرا اجتماعيا جعل شعره سجلا للحوادث التي مرت بضفاف النيل ، وأحس بشعور الشعب فارتبــط شعره بأفراحه وأتراحه ٠ وكان شعره من أسـباب التمهيد للوحدة بين «الشعوب العربية» اذ كان يبشر بهذه الوحدة بكثير من قصائده ٠٠ :

لمصر ام لربوع الشام تنتســب
هنا العلا وهناك المجد والحســب

وقوله كذلك :

وان دعا في ثرى الاهــرام ذو الم
اجابه في ذرا لبنــــان منتحب

وفيما يقول داعيا للوحدة العربية الكبرى : ـ

« النيل » وهو الى « الاردن » فى شغف
يهدى الى « بردى » اشواق ولهــــان

وما كان لادب العرب فى طور من اطواره ، ولا فى زمن من ازمانه أن يعيش خلوا من سدنة هيكله ورعاة عهده ، فان شعراء شيوخا فى الجمهورية العربيــة المتحدة وفى لبنان والعراق وديار المغرب مازالــوا حماة ذلك الهيكل ، غير أن فريقا من الشبان ظهـرت مخايل نبوغهم مبكرة فاقبلوا بشعرهم ليصلوه بآثار سابقيهم ، وكانت محاولات هؤلاء الشعراء المحدثـين محمودة فى نشدانهم لتجديد لم يصيبوه حتى الآن ، وانفلت منهم معشر جاءوا بضرب من الشعر سـموه جديدا٠وحين ينظر فيه الناقد لايجد من جدته سوى تصفيف كلماته ٠ فبديلا من وضع الشعر الموزون المقفى وضع الأشطر فى الأبيات المتعاقبة ، وأخذ هؤلاء الشعراء يقسمون الشطر الواحد فى ثلاث كلمـات تكون الواحدة خلف الاخرى ، أو يجيئـون به غير موزون ولا مقفى ، فيكون ضربا من النثر وليس كما يتوهمون ٠ وقد شجعت هذه الحركة بعض الصحف والمجلات تبتغى شق الطريق أمام الناشئين ، فكان أن حدث ارتباك فى أدب الفترة الاخيرة ، وحار الناس فيما يعايدون من شعر جديد ، فاذا قصد الشــعر الجديد ان يبرأ من قيود التقليــد ، فلا ينبغى له ان يتنكر للوزن والموسيقى ٠

وقد برز فى الفن القصصى نجيب محفــوظ الذى تفهم روح الشعب ، وعكس صوره على رواياته السردية الممتعة ، وقصصه التى كتبها قبل الثورة وبعـدها ٠ ولنجيب محفوظ أنداد وزملاء شاركوه فى تغذية هذا الفن بأحسن ما جادت به مواهبهم ، منهم عبد الحميد جوده السحار ، وثروت اباظه ، ويوسف ادريس ، ومحمود البدوى ٠

وقد سبق هؤلاء توفيق الحكيم ٠٠ الذى قدم لنا ٠ « يوميات نائب فى الارياف » وقصة «الرباط المقدس» وكاتب القصة الموهوب الاستاذ « يحيى حقى » الذى سبق الى النقد الادبى فمارسه مخلصـا ، وأبدع فى القصة فكان « قنديل أم هاشم » احدى روائعــه المشهورة والى جانب هؤلاء كان القصصيان حســن محمود وابراهيم المصرى يقدمان آثارهمـــا بصمت وأدب واتقان ٠

ولم يخل ادب طه حسين وهيكل والمــازني وأبى حديد من فن القصة وكانوا من الرواد فى هـذا الفن وقد كتب العقاد « سارة » ثم غض عن فن القصة ٠

وقد ظل الادب المسرحي يمشي وئيـدا حتى جاء الشاعر « أحمد شوقى » فكتب له مسرحياته السبع وبها اظهر الشاعر تجـديده فى الادب والشــعر الحديث ثم تلاه الشــاعر والمؤلف المسرحى عزيز أباظه برواياته التمثيلية الجديدة التى امتــازت بأسلوبها العربى المكين وفنها المحبب ٠ ومن أشهر تمثيلياته ٠٠

« غروب الاندلس » و « قيس ولبنى » و « شجرة الدر » ، وكانت آخر مسرحياته « أوراق الخريف » سنة ١٩٥٩ وقد جعل موضوعها معاصرا ، ثم قفى عليها بمسرحية « قافلة النور » و « قيصر »

وما زال ادب المسرح فى عصرنا الحديث موضوع الجدل والنقاش فيه حول الوانه ولهجاته ومعاهده ، محتاجا الى التالق والتطور ، فان ما سطع من نجومه فى التاليف والتمثيل والسينما لايزال فى المرحلة الاولى من طريق مجده العتيد ٠

تحسين عبد الحى

قراءات في المجلات العربية



يقدمها : مصطفى فوده مصطفى

● **لا حدود ، طلقة على الطريق**

ربما كانت مسرحية لا حدود « لمحمود شعبان » اول طلقة يشترك بها مسرحنا في معركة المصير العربي ضد الصهيونية المغتصبة ، المتسلطة على جزء عزيز من وطننا • ولا أحد ينكر دور الفن في تعبئة الشعور واظهار فداحة المأساة ، ومن هنا كانت أهمية (لا حدود) • لأنه ولا شك ستعقبها طلقات أخرى تضيء الطريق أمام الزحف لاستخلاص تلك القطعة المغتصبة من وطننا ، العزيزة على نفوسنا جميعا •

***

والمسرحيــــة تدور في مخيم وتبين حال اسرتين لعلهما نموذجــا لبقية اللاجئين في ذلك المخيم •

البحث عن لقمة العيش تهم الاسرة ، ولكنهـــا لا تشغلها عن وطنها وذكرياتها فيه • فالأم تحاول أن تستلف الدقيق من جارة ليس حالها بأحسن • فكلاهما لا يجد قوت يومه ، وكلهم يذكر الدار وما حوت من حدائق يفوح بعطرها الجو • وكلهم مصر على العودة ، وان كان منهم من يتطلع الى عيش أفضل يلوح له به العملاء • وهناك من ابتلع الطعم بالفعل وعمل عند هؤلاء العملاء وعاش في رغد من العيش • وآخرون تغريهم تلك الحال ، فيحـــاول أن يبتعد عن بقية بلده ليفلت هو الآخر مما يظنه بؤسا وشقاء • ولا يدرى أن السم في العسل • وتذهب صرخة الأب المحذرة في واد ويسافر الولد ليكتشف الحقيقـــة المروعة ، عندما قتلوا ابن عمه وزوج أخته لانه فضح أمر العملاء وعرف الى اي هدف يسعون ، فيعود بأخته زوج القتيـــل وبابنة عمه أخت الضحية ، التي كانت هي الأخرى ضـحية الخداع ، ليشتركوا جميعا في الزحف فلا حدود •

ويحـاول كاتب المسرحية أن يبين لنا ، التمزق الذى تعرضت له الأسرة الفلســــطينية اللاجئة • فالأم تنتظر ولدها ، وما من أخبار عنه لأنه خلف الاسلاك الشائكة داخل بلده المغتصب ، وعندمـــا يعود فارا بجلده من موت محقق لأنه كان يعمل داخل بلده لاستعادة بلده ـ يتلقاه الناس فنكتشف أن الكل يسأل عن الاعزاء المحاصرين خلف الجريمة• ويبين لنــا أنه حتى الاولاد لا يعترفون بالحدود المصطنعة فلعبتهم المفضلة تخطى تلك الحدود • حتى ان تلك اللعبة كانت فيها نهاية الدولة عندما دخل الأولاد الحدود فقتل بعضـــــهم وقبض على البعض الآخر ، وكانت الكأس اترعت والتجــــارب اقنعت الجميع بأنه لا عيش الا داخل الوطن مهمـا كانت التضحيات • ذلك هو مجمل المسرحية •

ومهما يكن من كونها أول طلقة فنية من ـ المسرح على الطريق ، الا أن بناءها الفنى كانت فيه هنات هنا وهناك ، فالحوار ملىء ـ بلقد ـ وان ـ والتى ـ وذلك ـ وما شابهها • حتى ان الممثلين كانوا يغرقون أحيانا في نطق تلك الكلمات وبخاصة عندما تكون

بدءا ، ويجذبون معهم المشاهدين الى القاع عندمـــا يصعب النطق فيصعب الفهم • ولقد حدثت بعضهم فى أمر هذه الكلمات • فقال : « يا كم كسرنا منها • **ولكنها كادت تكسرنا فى النهاية »** •

ونحن نعلم أن الحشو الد أعداء الدراما فان لم تخدم الكلمة أو الفعل كلمة أو فعلا بعدهـا ، ويستدعيها فعل او يتمه قبلهـا ، كانت حشوا لا لزوم له • فما بالنا بتلك الاغنيات التى امتلأت بها ارجاء المسرحية دون ما داع او لزوم • كان يمكن ان نحذف كل هذه الاغنيات ونبقى المسرحية كما هى بل ربما كان ذلك ادعى الى التركيز اللازم للمسرح ، فالمسرح ايحاء قبل كل شئ •

والمخرج « فوزى درويش » مولع بالمســتويات المختلفة فى اخراجه على المسرح • وكان ناجحا فيها فى مسرحية له سابقة اسمها « صفحة الحب » الا انه لم يكن موفقا بمستوياته تلك فى « لا حدود » فما لزوم المستوى الخلفى فى مسرحيتنا هذه ؟ كنا خمسة نفر نشاهد المسرحية ونناقشها فى هذه المستويات، وخلصنا الى أن المستوى الخلفى لم يخدم غرضـــا معينا ، فلم يكن باكثر من مدخل الى المسرح •

كما ان المخرج لم يستغل المستوى الأمامى ايضا وكاد يعطله • بل يقول : ان فى شغله تشتيتا لذهن المتفرج عما يدور بعده داخل المخيم • ولكن الست معى فى أن كثرة الحركة على المستوى الخلفى كانت تشتيتا ايضا •

الا أن المخرج وفق الى حد كبير فى اظهار الضيق النفسى الذى يلف كل اللاجئين متمثــلا فى تلك الأسرة • عندما ركز التمثيل بصفة مستمرة فى حيز ضيق ، داخل حجرة ، أو فى ركن ضيق أمـــام مخيم •

وكانت المقابلة بين هذا الضيق وبين ذلك الاتساع فى المشهد الذى دار فى بلاد العملاء عندمـــا ذهب الابن اليها ـ لمحة ذكية فى الاخراج • فهـــو هنا يستغل كل جزء على خشبة المسرح لأنه لا ضـــيق يحبس النفوس أو يشملها • وهو هناك على الحدود يركز الممثلين فى أضـــيق حيز موحيـــا للمتفرج بالكثير •

ووفق أيضـــا فى الايحاء بأن لا سند لهـــؤلاء اللاجئين الا أنفسهم • عندما قدم قطع الأثاث جميعا من غير مسند • ووفق أيضا فى تحريك الممثلين فيمـــا فرضه من حيز ضيق • فكنـــا تراه يجعل من هوامهم واحدا متجاورين ، وهكذا •

وبالرغم من كل الفتات الفنى المنثور فى الاخراج، الا أنه بعـــامة أقل مما عودنا الأســـتاذ « فـــوزى درويش » • ومهما يكن من أمر فالمسرحية طلقة على الطريق برغم انها اقل بكثير من المشكلة المستوحاة منها :

● كثيرا ما تلعثم الممثلون فى النطق وأفلتت منهم الفصحى ، وصعب عليهم نطقها • فأدخلوا كلمات عامية من بنات أفكارهم ، وكان هذا نشازا دون شك • فهـــل يعنى الممثلون بالحفظ ؟ نأمل ذلك •

●بقيت نقطة : تركتنا السـيدة (زوزو نبيل) ننتظرها نحن المتفرجين وينتظرها الستار ســـاعة كاملة ، بعد موعد البدء • فهل هذا يليق ؟ لئن كان الممثلون يطالبون الجمهور بتقديس المسرح • أليس أولى أن يعلمونا هم تقديسه ، بتقديسهم له •

●مع القصة العربيه

ولعلنا حين نقدم للقـــارىء نماذج من القصـــة القصيرة التى هلت علينا بها الصحافة الأدبية فى الأقطار الشقيقة ، نقدم له نافذة يقف منهـــا على ما يدور فى ذهن الانسان العربى ، فليس شئ أقدر على كشف النفس البشرية من الانسانيات • وليس مثل الفنان من يقدر على مثل هذا الكشف •

وسنبتعد عما نشر هنـــا فى بلدنا هـــذه فهو بين يدى القارىء يســـتطيع أن ياخذه بســـهولة ويسر وأن يتبينه ، حتى لو لم يقرأ شيئا ، لأنه النموذج الذى يرقبه الفنان ويضعه تحت مجهره لا شعوره ، ليصفعه بعد ذلك أو يهدمه ، ليكشفه أو يغطيه ، ليهزه بعنف ، أو يربت عليه بحنان ، وفى النهاية ينير له الطريق حتى لا يتردى فى مهاوى نفسه ويحتويه ظلامها ، فلا يســـتطيع منه فكاكا او انطلاقا ويبقى أسيرها حتى يدمر نفسه ليتخلص من أسرها •

فنحن هنا فى بلدنا يرقب بعضنا بعضا ويصطدم بعضنا ببعض • نرى الخلجات التى يصطادها الفنان ليهزنا بها • والفتات الذى يجمعه ليبنى منـــه فى النهاية قصره الانسانى الذى يذهلنا بتألقه ، ولكننا لا نستطيع أن نعبر كما عبر ، ولا أن ننفعل بمـــا

انفعل ، ونكتفي في النهاية بالحلقة معجبين بالشيء الذي أخذه الفنان منا ليقدمه لنا عملا رائعا .

أما هناك في بلادنا الأخرى التي يعيش فيها أشقاؤنا ، فنحن في حاجة أي حاجة الى تعارف أكثر، وفهم أعمق ، وتلاق قريب . أنا في حاجة الى معرفة متاعب أخي لكي امد له يد المساعدة . في حاجة الى **الوقوف على أحزانه لأن واجبي أن امسح دموعه ، في حاجة الى مشاركته افراحه لأغنى معه** ونطرب معا . واذا كانت الشقة بيننا بعيدة ، والاتصال المباشر غير ميسر فلا أقل من أقرأ ما يختلج **في نفسه وأقف على ما يهزها فيسرها أو يحزنها .** والوسيلة الى ذلك هي الفن ومن الفن القصة القصيرة .

وبين أيدينا الآن ، **قصة لشقيق فلسطيني هو** «محمود سيف الدين الايراني »نشرتها له مجلة العربي وأخرى لشقيق من العراق ، هو « **ليث الواسطي** » نشرتها له **الآداب** .

وقصة شقيق فلسطيني **هي « اضناني الحنين »** واسمها يدل عليها ، كما يكشف عن نفس كاتبها ويكشف أيضا عن نفوس كل أخواننا الفلسطينيين وما يعتمل من ذكريات يحملونها لبلدهم وحنين لأرضهم وبيوتهم وزرعهم وكل ما لهم في بلدهم السليب الذي اختطفه منهم الاستعمار وسلمه لشذاذ الآفاق في غفلة من الزمن .

وبطل القصة من يافا يحكي لنا ذكرياته فيها وما كان يعمل هو وأسرته، ونعرف أنهم كانو بحارة ينقلون البرتقال الى المراكب الكبيرة في سفنهم ذات الأشرعة الصغيرة يلاطمون بها الموج ويقاومون الرياح شتاء . فاذا كان الصيف وداعب نسيمه وجه الماء ، كانوا يخرجون للصيد غالبا . وفي أوقات الراحة كانت الجلسة تحلو بالقرب من ياسمينة وشجرات ليمون تعطر الدار وتجعل القهوة فواحة والسيجارة العربية هنيئة . كل ذلك في صحن داره التي كانت غرفتين نظيفتين ورثها عن آبائه الذين يرقدون في مقبرة قريبة .

الى أن وقعت الواقعة بعد قتال ضار أصيب فيه أخوه الذي يعيش الآن بذراع واحدة ويبيع البرتقال في موسمه ولا شيء غير البرتقال . وقتلت أخته وتشردت الثانية فلا يعرف لها دارا . وماتت أمه كمدا ، وتزوج هو زواجا لا طعم له ومع ذلك أنجب ولدين عرفهما يافا تمام المعرفة . وداره ومركبه وشجرات الليمون والياسمينة . ويوجهان اليه « **دائما وفي عيونهما الشوق الملح . متى نعود ؟** » وهو بدوره يحيل سؤاله الينا « **ايها السادة متى نعود ؟** » .

وتقلبت به الحال بعد الخروج الذي كان يظن أنه لن يطول فاذا به ممتد حتى اليوم . فعمل بوابا لفندق ، وساقيا ، ودهانا وبائعا جوالا . حتى اذا ما شاءت الصدفة أن يرى بلده عبر الحدود ذات يوم وشجرات البرتقال قال لنا : « **ايها السادة قلت لكم في أول قصتي انني استطيع أن افل الحديد . وأن في يدي هاتين قوة عشرة رجال انها البقية الباقية من شبابي الذي ذهب . وفي صدري نار لا تنطفيء على الأيام . ولي ولدان لتيان يضطرم قلباهما حقدا على الغاصبين . وانا انتظر ، بل نحن ننتظر ان تقولوا كلمتكم لكي ننطلق كالاعصار .** »

ولعل قيمة القصة في انها تعبر عن مطلب عزيز علينا ، كلنا نوده ونعمل له . واجتمع له من أيام رؤساؤنا ، هو استرداد فلسطين وتحقيق حلم بطل قصتنا في العودة . قيمة القصة في تعبيرها عن احاسيس شقيق فقد داره وتشرد آله ثم هو يذكرهم ويتذكر أيامه وينتظر العودة .

أما اذا وضعناها في القالب القصصي فلن تدخل فيه ابدا ، فليس فيها النواه التي تنبني عليها القصة : العقدة . لذا فهي اقرب الى الصورة الأدبية منها الى القصة ، ولكاني بها مذكرات رجل يكتبها بعد مرور طويل وقت ، عن حادثة وقعت له

ونحن هنا نعتب على الكاتب تلك الروح المستسلمة التي لف بها بطل قصته أو صورته الأدبية ، فلا يمكن أن يشعر المرء على مدى السطور جميعا الا باجترار الذكريات وفقدان الأمل . ولئن اغتفر اجترار الذكريات فلا يمكن أن يغتفر فقدان الأمل وبخاصة في ايامنا هذه التي قام فيها الكيان الفلسطيني وعبئت الجهود لجعل جيش الخلاص حقيقة واقعة . كما كان البطل نموذجا سيئا للرجل الذي ينتظر الغير للوصول الى حقه . فقد كرر أكثر من مرة متى نعود ؟ وانا انتظر ، كما رأينا آنفا ، وكان أولى أن يعطيه لي الكاتب رجلا نامي الشخصية قويا ، لا ينتظر ان يصله حقه حتى

باب بيته ، فالحق لا يوهب ولا ينتظر ولكنه يؤخذ عنوة وليذهب من يغضب الى الجحيم .

ومـا نيل المطـالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيـا غـلابا

ومهما يكن من امر فالصورة فى عمومها همسة فى أدب النكبة ، الذى آمل أن نرى معه قريبا ادب العودة وهى خير من الصمت على كل حال .

***

وقصة بغداد هى « **الأحد القادم** » ولعل تساءلت مثلكم : لماذا الأحد القادم ؟ وبعد أن قرأتها وجدت أنه من الممكن أن يكون غير ذلك كالاثنين أو الثلاثاء مثلا أو أى يوم اذا شئنا . فليس بين اسمها وموضوعها رابطة موحية ، **بل ربما « الأحد القادم » أضعف نقطة فيها** . ولنر معا ما هى الأحد القادم .

قصة الأسر الوحدوية فى العراق ابان تسلط الحرس البعثى وضغطه على العناصر الوحدوية واصطياده لها وزجه بها فى السجون ، لتلاقى الذى ظنه مصيرها المحتوم ، ليعطل زحف الأمة العربية نحو التقاء أكبر فيه الخير لها والمستقبل الأفضل والقوة والمنعة والعزة . وبطل القصة قلق جزع فى انتظار اخبار عن محبوبته وخطيبته المقبوض عليها ولكن آلها الذين ذهبوا لرؤيتها يعودون حتى بغير خفى حنين . وتأخذ صديقة لهم اغتيل زوجها فى مواساته . وكان وراءه اجتماع ، فأخذ يضرب أخماسا فى أسداس : كيف يصل . وأى طريقة أضمن للوصول سالما ، حتى اهتدى الى أن السلامة فى السير على الأقدام فخرج ، وما أن دخل مقر الاجتماع حتى وقع فى الكمين وصوبت اليه المسدسات والرشاشات وشبع لكما وركلا وسيق الى التحقيق وضرب وعذب ولكنه ابتلع لسانه ولم ينطق ، ونقل الى السجن فوجده غاصا بمن على شاكلته وتساءل عن موعد رؤية ذويه فعلم أنها الأحد القادم ، وعندما جاءوا دست صديقته فى يده رسالة من حبيبته وبلغته أمرا من جماعته بمواصلة العمل .

وهكذا انتهت القصة فبينت ما كان يلاقيه الشعب الشقيق من جلاديه ، وأظهرت مقاومة الشعب واصراره على التخلص من الكابوس الذى كان يجثم على أنفاسه .

وفى الوقت نفسه ، كانت مكتملة البناء من اولها حتى نهايتها . ففيها العقدة وفيها اللمحة الخاطفة المغنية المثرية ، لا حشو ولا كلمة زائدة فكل كلمة تؤدى معنى وتتقدم بالقصة خطوة .

وهكذا سجل لنا الكاتب أحاسيس شعب شقيق فى فترة حرجة مر بها وانتصر عليها فأين الجلادون الآن ؟ لقد ذهبوا ولعل فى ذلك عبرة لآخرين .

مصطفى فوده مصطفى



الحفنى .. وحفنة المغالطات

بقلم عنتر عبد السلام مخيمر

فرغت منذ أيام من قراءة الجزء الاول من كتاب تيارات ومذاهب فنية وادبية جديدة للاستاذ عبد المنعم الحفنى .. وكنت افضل أن يكون عنوان الكتاب مغالطات ومذاهب هيومانية ووجودية مستقبلية ! والجزء الذى صدر يمكن كتابة مضمونه فى صفحة واحدة ؛

والاستاذ الحفنى يكتب بطريقة تدل على انه يريد ان يقنع نفسه قبل ان يقنع القراء بآرائه التى استوحاها من كتابات سارتر وكامى وغيرهما من ادباء الوجودية . كذلك فانه ليس ثمة شك فى قصور اسلوبه فهو لايجيد التعبير عن افكاره . اقرأ معى .

«... الادب والفن الجديدان فهما يتجهان الى التكوين فى الشكل والى المستقبلية وتأكيد الحرية فى الموضوع» ص ٧٣ .

ماذا يريد الاستاذ الحفنى أن يقول .. لست ادرى . والحقيقة ان آراء كاتبنا غريبة وعجيبة .. فهو ينادى – على سبيل المثال – بتخصص ادبى من نوع جديد .. ادب للفلاحين .. وآخر للعمال .. وثالث لـ .. للحلاقين مثلا . ويشترط الاستاذ الفاضل الا يكتب عن الفلاحين الا اديب فلاح ، وكذلك فانه اذا كتب اديب طبيب عن ماسحى الاحذية فهذه مغالطة .. لانه من الضرورى ان يكون من يكتب عن ماسحى الاحذية .. ماسح احذية . ومن يكتب عن المرضى مريضا .. وهكذا دواليك !

اما آراء الاستاذ الحفنى فى كبار ادبائنا فتدعو الى التأمل .. لا لعمقها واصالتها ولكن للامعقوليتها انه يتهم فكر الاستاذ توفيق الحكيم بالتخبط .. ويتهم كبار الكتاب العرب بالضحالة التكنيكية والسطحية الفكرية والرجعية اللامستقبلية ! ان التخبط الفكرى الذى حفل به الجزء الاول من كتاب مغالطات ومذاهب هيومانية وجودية مستقبلية .. اقصد .. تيارات ومذاهب فنية وادبية جديدة تجعلنى اتوجه الى مؤلفه برجاء اخوى بأن يريحنا ويريح نفسه من عناء اصدار بقية الاجزاء فانى أعتقد أنه لن يقدم لنا فى بقية هذه الاجزاء غير المزيد من التخبط الفكرى الذى لايخدم الادب او الفن .. او الحياة .

واخيرا لعل الاستاذ الحفنى يتقبل هذا الرجاء بصدر هيومانى رحب وروح رياضية مستقبلية ، واذا كنت قد اثقلت عليه بكلمتى فانى اعتذر له رغم انه قد اثقل على هو الآخر بكتابه .

***

مع كتاب «فى صحبة العقاد»

بقلم محمود محمد الطوخى

يخبرنا الاستاذ الجبلاوى فى كتابه عن الاستاذ العقاد ص ٢٤ ، على لسان الشيخ فخر الدين الدشناوى مدرس العقاد : «ان الزعيم مصطفى كامل زار المدرسة شتاء احد الاعوام ، ودخل الفصل

الدراسى الذى يضم التلميذ عباس العقاد وبعد انتهائى من الدرس أمسك بالطباشير وكتب البيت:

والمرء ان لم تفـد اقامتـه
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يزل

وطالب التلاميذ بتفسيره فاخذكل يفسره حسب هواه وبقدر مايوحيه ذكاؤه ولم يصل احدهم الى المعنى الصحيح » وقام العقاد «واخذ يشرح البيت ويستفيض حتى أوفى على الغاية والزعيم ينصت اليه وافر الاعجاب» ويضيف الاستاذ الجبلاوى وقد اكد لى العقاد رواية استاذه عن هذا الحادث .

لكن الدكتور شوقى ضيف فى كتابه «مع العقاد» يخبرنا ان هـذا الحادث وقع للعقاد وهو مدرس متطوع فى احدى المدارس الاهلية عقب حصوله على «الابتدائية» ولما قام بشرح البيت بعد عجز تلاميذه «انتظر من مصطفى كامل ان يبدى ارتياحا لما أورد على سمعه من حسن التخلص ، ولكنه تجهم له وزوى وجهه» ص ١٨ ليس هذا فقط بل يذكر العقاد نفسه الحادث فى كتابه «رجال عرفتهم» قائلا أملى الزعيم البيت على أحد التلاميذ وساله عن شرحه « فتلعثم التلميذ ولم يجب بطائل فاسعفته معتذرا له ان الغيم الذى لايمطر فى أسوان ولايسير نعمة محبوبة وان الغيم الممطر وغير الممطر عندنا قليل ، ولاح لى أن الباشا لم يسترح لهذا التعقيب» هذا كلام الاستاذ العقاد فكيف يذكر الاستاذ الجبلاوى على لسان صديقه غير هذا وكنا ننتظر منه الدقة والعناية . رحم الله الاستاذ العقاد واسكنه فسيح جناته .

محمود محمد الطوخى

((مدرس))

***

الأسوة الحسنة ... بقلم عيسى متولى

قرأت فى الصحف أن مزارعا قتل جاره ، لأنه ألقى بالتراب أمام بيته ، فانهال عليه ضربا بالفأس حتى لقى مصرعه ، ولم يكتف القاتل بذلك، بل مثل بجثته شر تمثيل ! ..

وأعاد هذا الحادث البشع الى ذاكرتى موقف نبينا الحبيب من جاره اليهودى ، الذى داب على وضع قاذوراته بباب المصطفى كل صباح ، فكان ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ يبعد القاذورات عن بابه ، ويمضى الى حال سبيله ...

وخرج الرسول ذات يوم ، فلم يجد ببابه القاذورات التى اعتاد اليهودى أن يلقيها ، فايقن أن جاره أصابه سوء ، وطرق بابه يسأل عنه ، فوجده مريضا ! ..

ولما رآه اليهودى ، وعلم أنه جاء ليعوده ، جثا على ركبتيه ، امام سيد الخلق ، قائلا :

ـ أشهد أن لا آله الا الله .. وان محمدا رسول الله !! ..

هذا موقف من مواقف النبى الكريم ، ولقد كان لنا فى رسول الله أسوة حسنة . فلو أننا اقتدينا به ، ونهجنا نهجه ، لما شاهدنا هذه المآسى ، التى تجعل الولدان شيبا ! ..

لقد بعث محمد ليتمم مكارم الاخلاق ، وليضع للبشرية الدستور الخلقى الى جانب الدستور الدينى .. فما لأتباع محمد قد نأوا عن تعاليم محمد .. ومبادىء محمد .. واتخذوا الشياطين أولياء ؟ ..

لقد شهد له ربه بالخلق العظيم ، يوم نزل « كبير أمناء » السماء .. جبريل .. يحمل الوسام الأكبر، من الدرجة الأولى ، ويضعه على صدر محمد ، بالوحى الكريم :

« وانك لعلى خلق عظيم » .. واى وسام أرفع من هذا الوسام ؟ ..

***

تصويب ..

قصيدة (لا معقول) نظم الشاعر محمود عماد المنشورة فى العدد ١٠٨١ من الرسالة وقع خطأ فى جمع البيت الحادى عشر منها وصوابه :

وان يكن عاقل فى الفن أتعسه
فليهنأ الفن بالبلـه الميامين

وفى البيت الحادى والثلاثين وصوابه :

لو أن كل جديد قد يسوغ اذن
لساغ أنا نحيى الناس بالطين

ثلاث رسائل من امرأة مجهولة

• بقلم : أبو المعاطى أبو النجا •

لم يتصوروا يوما ان شيئا كهذا يمكن ان يحدث ان يصبح اليوم كله مجرد انتظار قلق لهذه اللحظة التى يقبل فيها «**سيد**» وفى يده حزمة خطابات المصلحة كلها ... لينتقى منها - فى بطء يثيره - الخطابات الخاصة به ، ويتركها على مكتبه وقبل ان ينصرف ، يبدأ هو فى تمزيق اغلفة الرسائل فى لهفة ، بحثا عن رسالة جديدة ، تلقى الضوء على تلك المرأة المجهولة التى مست حياته بما يشبه السحر ..!

القى نظرة على ساعة مكتبه .. كانت تشير الى التاسعة صباحا · لا تزال أمامه ساعة كاملة قبل أن يحضر «سيد» من مكتب البريد ، انه يعرف هذه الساعة اللعينة ، انها اطول ساعات النهار كله ، هو لا يستطيع فيها أن يركز ذهنه فى شىء ، بل لا يستطيع أن يستقر فى مكانه . الساعة التى سيكتشف بعدها ما اذا كان سينتظر يوما آخر من هذه الايام القلقة !! انه لا يصدق أبدا أنها لن تكتب اليه مرة اخرى كما زعمت فى خطابها الاخير ..! انه واثق تماما من أنها ستكتب له من جديد ، ثقته بما فى طبيعة البشر من حيرة وتردد ورغبة فى التجربة ولكن هذه الثقة تتحول فى اللحظات الاخيرة التى تسبق عادة وصول «سيد» الى نوع من الشك المروع حتى فى قدرته على أن يفهم ، وبلا شعور تمتد يده الى درج مكتبه لتدير فيه المفتاح ، ثم تخرج مظروفا خاصا تسحب منه الخطابين اللذين وصلا من القارئة المجهولة ليعيد قراءتهما من جديد ... وكانه يفعل ذلك لاول مرة وكانه سيخرج من هذه القراءة بشىء جديد يجعل الامر أكثر وضوحا.! وراح يقرأ ...

عزيزى

لا ادرى كيف ابدأ هذه الرسالة التى عاشت طويلا فى نفسى دون أن اجرؤ على التفكير فى كتابتها، كنت دائما أخشى ان اسىء التعبير عما فى نفسى ، فأدفعك الى ان تسىء الفهم فموقفى منك دقيق غاية الدقة ، وربما ادت اقل الاخطاء فى معالجته الى نتائج لا احبها لك ولا لنفسى ..!

ادرك انك الآن تود ان تعرف شيئا عن هذا الموقف خاصة وان امامك رسالة بلا توقيع ، وثق أننى لم افعل ذلك لمجرد اضفاء جو من الاثارة على موقفى منك بل لاسباب أعتقد انك ستقدرها ..! فأنا واحدة من قارئاتك اللواتى يتتبعن باهتمام كل ما تكتب ، وانا قبل ذلك - وهذا ما جعل موقفى منك يصبح بهذه الدقة والحساسية - صديقة لزوجتك ..!

ومع اننى أعتقد ان الكاتب - أكثر من أى شخص آخر ممن يشتغلون بالمسائل العامة - ليس ملكية خاصة لأسرته ، وأن من حق الناس، وبالأخص أولئك الذين يهتمون بأدبه - من حقهم أن يكون لهم جزء من حياته ومن وقته ..! واننى مع ايمانى بهذا الحق لم أفكر قبل هذه اللحظة فى الكتابة اليك ، ولو لمجرد التعبير عن تقديرى لما تكتب واهتمامى به..! بل ولم اسمح لنفسى فى المرات التى كنت التقى بك فيها فى بيتك أن يتم حديثى معك عما أكنه لفنك من اعجاب لاحد له ... كنت قانعة بتتبعك فى كل كتاباتك .. حريصة على الا أتورط فيما يمكن ان يمس باقل اهتزاز تلك الخيوط الدقيقة الحساسة التى تربطنى باسرتك .. وايضا بك ..!

ولكن مايخرج بى الآن عن هذه الحدود التى رسمتها لنفسى هو اننى لاحظت انه قد مضى اكثر من عام على آخر كتاب لك .. وخلال هذا العام لم اقرأ لك شيئا يذكر وربما لو كنت بعيدة عن حياتك

لتوهمت أن لديك ظروفا خاصة قوية تقف وراء صمتك واحتجابك عن الناس .. ولكنى بحكم صلتى بك اعرف الا شيء هناك على الاطلاق ، بل أكثر من ذلك عرفت ما جعلنى اقرر فى النهاية ان أكتب لك مهما تكن الظروف. كانت زوجتك تحدثنى – كلما دارالحديث حول هذاالسؤال لماذا لاتكتب؟– بأسى مرير عما بدات تلحظه على حياتك من تغيير.. كانت تلاحظ انك بدات تواجه مواقف كثيرة فى حياتك وفى حياة مواطنيك بنوع من عدم الاكتراث أو اللامبالاة ، وانك بدأت تهز كتفيك لأشياء كثيرة كانت تهز قلبك ..!

لم أكن أصدق أذنى ، وانا اسمع هذا الكلام.. فقد كان اهم مايميز كتاباتك ذلك الشعور العميق بانك مسئول ، وبانك تكتب ليس من اجل الشهرة، او المجد او لمجرد استعراض مواهبك ..! بل لان هناك فى هذا العالم مايقلقك ، مايدوى فى رأسك بعشرات الأسئلة التى تقف بروحك دائما على حافة المجهول .. !

ولهذا لم اتصور يوما ان كاتبا مثلك يمكن ان يتوقف عن الكتابة . فهل أصبح العالم هو المكان السعيد الذى لا تشعر فيه بالقلق ؟ هل كف العالم عن ان يوجه اليك سؤالا من اى نوع ..! هل تعرف معنى صمتك هذا ؟ هل تعرف معناه بالنسبة لقرائك ومحبيك ؟ هل خطر ببالك مرة واحدة انك تقف وحدك وان صوتك يتحول الى صراخ فى صحراء ..!

ياعزيزى ... ان موهبتك ليست ملكية خاصة بك ، وليس من حقك أن تهملها كما يهمل المرء ثوبا لا يروق له..انها ملك لكل من يقدرونها ويحتاجون اليها ايضا .. انتى أتوسل اليك بكل ما املك من تقدير وحب لفنك أن تعود لقلمك .. وثق انك بهذا ستعيد الى آلاف القراء الفرحة والحماس للحياة..!

واعتقد انك بعد هذا كله ستغفر لى ، وتقدر اننى أكتب لك هذه الرسالة بلا توقيع ..!

ومع انه قرأ هذه الرسالة مرات لاحصر لها .. ففى كل مرة كان يحس بها تمس روحه بما يشبه السحر ... كيف استطاعت هذه المراة المجهولة ان تلمس جراحه بكل تلك الحساسية والرقة والذكاء ... كأنها كانت تعيش داخل قلبه .. لم يخنها ذكاؤها الا فى شيء واحد ، هو انها تصورت انه من الممكن أن يهتم فقط بها كموقف وكفكرة دون ان يحاول معرفتها ... والحقيقة انه حاول ذلك مخلصا ولكنه لم يستطع ... كان يجد نفسه على الرغم منه – يستعرض وجوه صديقات زوجته .. **واحدة واحدة .. كريمة .. راجية .. نوال ... شريفه** ... وتمنى من اعماق قلبه ان تكون شريفه هى صاحبة الرسالة ... ووجد نفسه يتذكر المواقف التى جمعته بشريفه والكلمات التى قالتها ... وكيف كانت تتصرف وتضحك وتبتسم، وعبثا حاول أن يجد فى كل ذلك ما يمكن ان يكون مقدمة طبيعية لمثل هذه الرسالة . ومع ذلك فشريفه وحدها هى التى تصلح بطلة لقصة عاطفية يعايش خلالها الحياة وهى تتفتح وتزدهر ... وتكتشف نفسها ..! الاخريات كلهن زوجات !! انه لا يصدق انه اصبح يفكر هكذا ... ربما كان ما يحتاج اليه حقا هو الحب .. ! وراح يقفز بعينيه فوق سطور الرسالة الثانية ... وتمهلت عيناه عند هذه السطور ...

... « لقد كان الحفل الذى أقمته بمناسبة العيد الرابع لميلاد وحيدك « **اشرف** » فرصة تصلح لأن أكتشف أننى تورطت فى خطأ كبير بالكتابة اليك . وبدلا من أن أنجح فى اثارة اهتمامك بالعودة الى الكتابة نجحت فى اثارة رغبتك فى معرفتى ... !

كنت الوحيدة التى فهمت معنى هذه العبارات التى كنت تضمنها احاديثك بينما هى منقولة من رسالتى حرفيا .. !

كنت تنطق هذه العبارات فى بطء مقصود وعيناك ترصدان فى وجوه المدعوات اقل اختلاجة او تأثر ... يا لها من لعبة خطرة ذات حدين ... فبينما كنت أجاهد حتى لا يبدو على ملامحى اى تأثر ... كنت اخشى ما يمكن ان يدفعك اليه اقل خطأ فى تقدير موقف احدى المدعوات ... هل تصدق ان مجرد احتمال ان تنشأ – ولو بالصدفة – علاقة من اى نوع بينك وبين اى مدعوة اخرى من صديقات زوجتك كان هذا الاحتمال يملؤنى بالرعب ..!

ارايت الى اى حد يمكن ان تخرج الامور من يدنا ونصبح نحن لعبة فى يدها . يا عزيزى استحلفك بكل الأشياء المقدسة فى حياتك . بطفلك وبزوجتك وبفنك أن تنسى هذا الموضوع تماما وأن .. ! »

فى تلك اللحظة دخل « سيد » ببدلته الصفراء ومنظاره اللاصق فى عينيه ووضع أمامه مجموعة الخطابات الخاصة به وخرج ...

وفى لحظة امكنه ان يكتشف بين مجموعة الرسائل رسالة جديدة من المرأة المجهولة ! ... ومع أنه كان ينتظرها بصبر نافد فقد راح يقرؤها على مهل ... كلمة كلمة .. !

عزيزى

-ارجو أن تهدأ هذه المرة وتطمئن فلن تنتهى من قراءة هذه الرسالة حتى تكون قد عرفت كل شىء عنى ... عن القارئة المجهولة ...

فلقد تأكدت اننى سرت من البداية فى طريق خاطىء ومع ذلك ، بل ربما بسبب ذلك ... تكشفت لى من قلب هذا الخطأ حقائق كثيرة اعتقد أنها يمكن ان تكون بالنسبة لى ولك بدايات طيبة فى طريق حياتنا معا .. !

ان الاعمال فى هذا العالم لن تكون ابدا بالنيات ... فلقد كنت أريد أن أدفعك الى الكتابة فاذا بى اقدم لك الف سبب جديد ليس فقط للتوقف عن الكتابه بل للتوقف عن اشياء كثيرة لا تمضى الحياة بدونها .. !

ومع ذلك فلقد نجحت فى أن أبعث فى حياتك وفى عينيك ذلك البريق اللاهب ... بريق الاهتمام ... ولن آسف لأن ما كنت تهتم به هذه المرة هو مجرد اسم المرأة المجهولة التى كتبت لك ... تريد ان تعرف اسمى ... حسنا اسمى «هدى» ... تقول انه ليس بين صديقات زوجتك امرأة بهذا الاسم ... هذا صحيح ولكن يبدو انك فى حاجة الى من يذكرك بأن «هدى» هذا هو اسم زوجتك ! . أجل زوجتك .. ! ومن هنا تبدأ المأساة الصغيرة التى استحلفك بكل ما تملك من شجاعة وذكاء أن تقف الى جوارى لحظات لنواجهها معا بقلوب وعيون مفتوحة .. !

ربما لم تكن مأساة شخصيه .. ! واغلب الظن انها ليست كذلك . وربما كانت تلك طبيعة الحياة ... الحياة التى تجعل الرجل ينسى المرأة التى كانت مجرد كلمة منها او نظرة تضىء له العالم ... ينساها حين تصبح معه ... حين تصبح كل حياتها ملكا له ... !

لقد فتحت عينى ذات يوم لاجدنى اصبحت عاجزة عن أن أمس قلبك .. كانت هذه الحقيقة تحملها الى كل يوم عشرات التصرفات الصغيرة التى تفعلها دون قصد ... ولم افقد صوابى ... لقد حاولت الكثير لكى اتسلل الى قلبك ، لكى اجعل هذا القلب يتحمس لى ويخفق كما كان يفعل دائما ... وفى النهاية كدت اعتقد اننى احارب الحياة نفسها ... ولكن الشىء الذى ملأ قلبى بالذعر .. ! هو أننى فتحت عينى ذات صباح لاجد هذه اللامبالاة المريبة التى كنت تواجه بها عواطفى تحولك تتسلل الى حياتك كلها ... وتوشك ان تغتال حماسك لكل شىء ... حتى لفنك .. ! لقد مضى عام كامل وانت لاتفعل شيئا سوى أن تردد ما يقوله النقاد عن كتبك .. ! ولست ازعم اننى افهم أكثر منك ما الذى يجعل الناس يفقدون حماسهم لأمر من الامور .. !

ولكن الذى اعرفه اننى قررت ان احارب فى هذه الجبهة واعتبرها معركة حياة أو موت .. !

كان الامر فوق ما احتمل ... وفى لحظة جنون فكرت فى أن أكتب لك تلك الرسالة ... كنت مستعدة ان أفعل اى شىء يهز قلبك ، ينقذك من هذه اللامبالاة الغريبة التى لا ادرى كيف تسللت الى حياتك .. ! كنت مستعدة أن اخسر مكانى فى حياتك ولكنى غير مستعدة لان تخسر الفن .. !

وفى البداية خيل الى أننى نجحت فى لعبتى الخطرة ... ولكنه كان ذلك النجاح المروع الذى جعلنى اكتشفت مدى ضعفى وضعفك .. لن تستطيع مهما بلغ خيالك أن تتصور هذه المشاعر الغريبة المتناقضة التى كنت اعانيها وانا استمع كل ليلة الى اكاذيبك لى عن قارىء مجهول يكتب اليك ... وتردد فى بلاهة كلماته لك ... ناسيا اننى كنت اردد عليك احيانا مثل هذه الكلمات ... فتسمعها بنصف اذنيك ..! وانا اجدك تتقلب الى جوارى كل ليلة على الفراش حتى الصباح اجل ... لقد نجحت ذلك النجاح المروع الذى جعلنى اكتشف مدى ضعفى وضعفك ... ضعفك وانت تتهادى أمام وهم امرأة ... وضعفى وأنا أجد هذا الوهم ينجح فيما فشلت فيه ..!

ومع ذلك فثق اننى مستعدة أن أغفر لك ولنفسى هذا الضعف وكل الاكاذيب الرديئه التى قلتها لى ولكنى لن أغفر لك مطلقا ان تتخلى عن قلمك ..!

فهل تعدنى بان تعود الى القلم ... لماذا لاتبدأ **اذن بهذه القصة** ... قصة ضعفى وضعفك ... فالفنـان حين ينجح فى التعبير عن ضعفه وضعف الناس يكون فى قمة قوته ... وانتصاره .

ابو المعاطى ابو النجا



العدد ٦٤

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر